المـركـز العـربي لـدراسـات سـوريـة المعـاصـرة
The Arab Centre for Contemporary Syria Studies

أبحاث

تنظيم داعش في سورية بعد سقوط الأسد: تحليل خطابي لأعداد صحيفة النبأ (472–522)

نوّار شعبان

تنظيم داعش في سورية بعد سقوط الأسد: تحليل خطابي لأعداد صحيفة النبأ (472–522)

رؤية تحليلية لمستويات العنف، الخطاب العقائدي، والتحركات المستقبلية

شباط/فبراير 2026

Contents

ملخص تنفيذي 1

مقدمة 2

أولًا: خطاب التنظيم الإعلامي حول الشأن السوري في الافتتاحيات والمقالات 4

تحوّل الخطاب بعد سقوط نظام الأسد: بين تبدّل العدو وتكثيف العنف 4

التوصيف الطائفي والتكفيري لفصائل المعارضة في خطابات داعش 7

صورة الخصم في خطاب تنظيم داعش: الجولاني بين "الرّدة" و"الارتهان" 11

تبرير العنف كأمر شرعي وعدل إلهي 12

ثانيًا: أدوات التكفيروالتصنيف العدائي للخصوم 15

ثالثًا: داعش والأقليات في سورية: تغذية الفتنة والطائفية بين الخطاب العقائدي والاستغلال العملياتي 17

رابعًا: انعكاسات خطاب التنظيم على الأمن المحلي والتحول السياسي 19

خامسًا: استشراف نيّات التنظيم بخصوص هجمات مستقبلية في سورية 21

مواصلة حملة الاستنزاف والإصرار على نهج حرب العصابات ضد قوات (قسد) في شمال شرق سورية 21

احتمالية تصعيد الاستهداف في مناطق خاضعة حاليًا للحكومة السورية الانتقالية 22

تصعيد الحملة الإعلامية المصاحبة للعمليات البرية 24

سادسًا: استنتاجات 26

خاتمة وتوصيات 28

ملخص تنفيذي

تقدّم هذه الدراسة تحليلًا خطابيًا منهجيًا لأعداد صحيفة (النبأ) التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية/ داعش (472–522) الصادرة بين كانون الأوّل/ ديسمبر 2024 وتشرين الثاني/ نوفمبر 2025، بهدف تفكيك معالجات التنظيم للملف السوري بعد سقوط الأسد وصعود الحكومة السورية الانتقالية. اعتمد البحث تحليل المحتوى والترميز المفتوح وإعادة التجميع، في ثلاثة محاور كبرى: أدوات التحريض والتعبئة، وآليات التكفير والتصنيف العدائي، واستشراف التوجّهات المستقبلية. وتُظهر النتائج تحوّل بوصلة العداء من "النظام النصيري/ العدو الخارجي"، إلى "الداخل المرتد"، ممثّلًا بالحكومة الانتقالية وحلفائها، مع تصعيد واضح في شرعنة العنف بوصفه "عدلًا إلهيًا"، وتكريس معجم تكفيري (مرتدّين/ صحوات/ عبّاد الديمقراطية)، يُوسّع دائرة الاستهداف لتشمل مؤسسات الحكم والخدمات.

ميدانيًا، يثبّت التنظيم استراتيجية استنزاف ضد قوات سوريا الديمقراطية/ قسد شرقًا، مع مؤشرات لمدّ العمليات إلى جيوب في الجنوب والشمال الغربي واستغلال الفضاء الصحراوي، ورفع منسوب الرمزية الطائفية لخلق ارتدادات أمنية وإرباك ترتيبات الانتقال.

إعلاميًا، يزاوج بين سردية «نصر حتمي» ومحتوى بصري مكثّف، وقنوات مشفّرة لتغذية الدافعية القتالية واستقطاب الفئات الساخطة. وتنعكس هذه الديناميات على الأمن المحلي، بإدامة التوتّر وتقويض الثقة بالسلطة الجديدة وإطالة مبرّرات التدخّل الخارجي.

تبرز أهمية هذه الدراسة في كونها أول تحليل خطابي ممنهج لصحيفة (النبأ)، بعد سقوط نظام الأسد، يكشف التحوّل النظري في بنية العداء لدى التنظيم، من صراع ضد "العدو الخارجي" إلى إعادة إنتاج خصومة عقدية داخلية، تستهدف الشرعية السياسية الناشئة، وتُعيد تعريف مفهوم المرتدّ والعدوّ، بما يوسّع نطاق الاستهداف، ويمنح العنف وظيفة تأسيسية داخل المجتمع السوري.

توصي الدراسة الحكومة الانتقالية باتخاذ مقاربة ثلاثية: تفكيك شبكات الخلايا عبر عمل استخباري مُنسّق ومتقدّم، تجفيف هوامش التجنيد بخدمات سريعة ومرئية في المناطق الهشّة، ومواجهة خطاب التنظيم بخطاب ديني رصين واستراتيجية اتصال مضادّة توثّق الأداء وتُحاصر المعجم التكفيري في المجال العام.

مقدمة

تسعى هذه الورقة إلى تقديم تحليل معمّق لمضامين صحيفة (النبأ)، الناطقة باسم تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، خلال الفترة الممتدة نهاية شهر كانون الأول/ ديسمبر 2025 حتى نهاية شهر تشرين الثاني/ نوفمبر، (من العدد 472 إلى 522)، بهدف تفكيك خطاب التنظيم المتعلق بالملف السوري في ضوء التحولات السياسية الكبرى، ولا سيما بروز الحكومة السورية الانتقالية كفاعل رئيسي في المشهد. وتندرج هذه الدراسة ضمن إطار تتبّع الاستراتيجية الإعلامية للتنظيم، واستقراء دلالات خطابه العقائدي والعسكري في سياق الوقائع المتغيرة على الأرض، مع التركيز على كيفية تكيّف الخطاب الداعشي، بعد فقدان التنظيم لمقومات السيطرة الإقليمية، وانتقاله من لغة "التمكين" إلى سردية تقوم على إعادة إنتاج الشرعية القتالية، عبر تثبيت العداء الداخلي وتبرير العنف بوصفه استمرارًا للوجود لا امتدادًا للحكم.

يركّز البحث على تحليل خطاب صحيفة (النبأ) تجاه الفاعلين السوريين الجدد، وفي مقدّمتهم الحكومة السورية الانتقالية والرئيس أحمد الشرع، من حيث توظيف الخطاب للتحريض والتعبئة من جهة، وللتكفير والتصنيف العدائي للخصوم من جهة أخرى. ويعرض التنظيم عبر هذه الإصدارات رؤيته لمسائل الشرعية والعدو، محاولًا نزع المشروعية عن خصومه، عبر لغة دينية حادة تهدف إلى إفراغ أي بديل سياسي أو أمني من مضمونه.

ينطلق البحث من السؤال الآتي: كيف يتناول تنظيم الدولة الإسلامية، في صحيفة (النبأ)، الملفّ السوري، وتحديدًا موقفه من الحكومة السورية الانتقالية والرئيس أحمد الشرع؟ وما الذي يكشفه خطاب التنظيم عن استراتيجية المستقبلية وتأثيره المحتمل في الأمن المحلي ومسار التحول السياسي؟

تفترض الورقة أن تنظيم الدولة يعتمد على صحيفة (النبأ)، بوصفها منصة دعائية تُنتج سردية تقوم على تعريف تكفيري للآخر، يقوم على نزع الشرعية الدينية عن خصومه في الساحة السورية بعد سقوط نظام الأسد، وعلى رأسهم الحكومة السورية الانتقالية. ويُقصد هنا بـ السردية التكفيرية ذلك الخطاب الذي يُعيد تعريف الخصم بوصفه خارجًا عن الدين، بغية تبرير استهدافه وإسقاط أي مشروعية عنه، وهي مقاربة توضّحها الأدبيات التي درسَت البنية العقائدية لتنظيم الدولة وتحليل منظومته المفهومية، كما قدّم كول بونزل في تفسيره لأساسيات عقيدة التنظيم ومركزية التكفير في تأطير الصراع. وينسجم هذا الطرح مع ما تشير إليه الدراسات التي حللت وظيفة الإعلام الجهادي، في بناء دائرة الانتماء والعداء، من خلال تصوير الخصوم كأعداء للدين من أجل تثبيت الولاء الداخلي للتنظيم، وهي الآليات التي تناولها هارورو إنغرام، في تفكيكه للمنطق الاتصالي لتنظيم الدولة وكيفية استخدامه للخطاب الدعائي لتعبئة الأتباع والتحريض على خصومه. وبهذا لا يكون استخدام (النبأ) مجرد نشر أخبار أو بيانات، بل أداة لتشكيل إدراك عقائدي يُنتج تحريضًا مباشرًا، ويؤسس لولاء مغلق يقوم على ثنائية الإيمان والردة، ويخدم الهدفين الأساسيين: الدعوة الصريحة لاستهداف الخصوم، وترسيخ رابطة طاعة قائمة على تعريف ديني أحادي يحتكر تفسير الشرعية. وهو ما توضّحه الأدبيات التي درست الميثولوجيا الجهادية وبناء الرموز القتالية لدى التنظيمات المتطرفة، ولا سيما تحليل فواز جرجس لسرديات البطولة والتمكين في خطاب داعش، وتفسير هارورو إنغرام لآليات استحضار الذاكرة المقدّسة في التعبئة والتحريض وتوليد شرعية مستمرة للعنف.

تعتمد الدراسة منهج تحليل المحتوى لأعداد صحيفة (النبأ)، إلا أن نطاق التحليل لا يشمل جميع الافتتاحيات الصادرة خلال الفترة الزمنية المحددة، بل الافتتاحيات التي تناولت الشأن السوري أو تطرّقت إلى سورية بصورة مباشرة. ويستند اختيار هذه العيّنة إلى معيار موضوعي، يقوم على حضور الإحالة الصريحة إلى سورية أو الحكومة السورية الانتقالية أو الفاعلين المرتبطين بالملف السوري. وقد بلغ عدد الافتتاحيات المطابقة لهذا المعيار ضمن الأعداد الممتدة من (472 حتى 522) ما مجموعه (13 افتتاحية)، واعتمدت الدراسة الفقرة الكاملة، بوصفها وحدة التحليل الأساسية، نظرًا لكونها أصغر بنية دلالية مكتملة في نصوص الصحيفة.

بدأت عملية التحليل بقراءة شمولية لهذه الافتتاحيات، ثم بدأت مرحلة الترميز المفتوح لاستخراج المفاهيم المتكررة المرتبطة بتعريف العدوّ، والتأطير العقدي للعنف، وتمثيل الحكومة السورية الانتقالية. تلتها عملية تجميع الرموز ضمن فئات تحليلية أولية، ثم تنظيم الرموز في ثلاثة محاور كبرى تُمثّل الثيمات المركزية للخطاب: أدوات التحريض والتعبئة، آليات التكفير وإعادة تعريف الخصم، واستشراف التوجهات المستقبلية للتنظيم داخل سورية بعد فقدان السيطرة الإقليمية. ودُعِمت هذه الثيمات باقتباسات نصّية مباشرة من الافتتاحيات المعنيّة، في المواد التي تناولت المسألة السورية في أعداد الصحيفة.

أولًا: خطاب التنظيم الإعلامي حول الشأن السوري في الافتتاحيات والمقالات

تحوّل الخطاب بعد سقوط نظام الأسد: بين تبدّل العدو وتكثيف العنف

حرص تنظيم داعش في صحيفة (النبأ)، خلال مرحلة حكم الأسد[1]، وما تلا سقوطه، على إعادة تعريف أعدائه وتوجيه حدة خطابه بشكل أكثر وضوحًا. ففي مرحلة ما قبل سقوط نظام الأسد، كان خطاب التنظيم يرسم صورة الصراع في سورية كصراع ثنائي، بين ما يسمّيه الكفر العالمي والجهاد الإسلامي، حيث اعتبر النظام العلماني في دمشق ومعارضيه، على حد سواء، مجرد أدوات في يد قوى دولية تناصب الإسلامَ العداء. وتُظهر الأدبيات الأجنبية التي حلّلت بنية الخطاب الدعائي للتنظيم، وفي مقدمتها دراسة كول بونزل، حول أيديولوجيا تنظيم الدولة الإسلامية، أن هذا التصور كان جزءًا بنيويًا في سردية التنظيم، في حين يُبيّن تحليل هارورو إنغرام للمنطق الاستراتيجي للدعاية الداعشية كيف دمج التنظيم جميع خصومه ضمن معسكر واحد تابع لمنظومة دولية معادية للإسلام، مختزلًا الصراع في مواجهة كونية بين "الجهاد" و"التحالف العالمي".

وتكشف إصدارات (النبأ) قبل سقوط الأسد عن حدة الخطاب الذي اعتمده تنظيم الدولة في توصيف خصومه داخل الساحة السورية، إذ أكثر من وصف النظام السوري وأجهزته بالكفر والردة، وسمّى فصائل المعارضة «الصحوات»، متهمًا إياها بالعمل في خدمة «التحالف الصليبي». ويبرز هذا التوجه في افتتاحية العدد 251 الصادر بتاريخ 2 شباط/ فبراير 2018، تحت عنوان «الصحوات... خنجر الصليبيين في خاصرة الجهاد»، حيث جاء فيها: «لقد صار المرتدون جنودًا عند الصليبيين، يقاتلون للإبقاء على طاغوت الشام، ويصدّون عن التوحيد تحت رايات عميلة صنعتها غرف العمليات الأجنبية». ويظهر هنا أن التنظيم كان يعيد تعريف الصراع في سورية بوصفه مواجهة بين الإسلام من جهة، و«الطاغوت» و«الصليبيين» وأدواتهم من جهة أخرى، بما يرسّخ سردية التكفير، ويبرّر العنف بوصفه واجبًا دينيًا لا خيارًا سياسيًا[2]. يحمل هذا الخطاب بعدًا تحريضيًا يتجاوز الخصومة السياسية أو العسكرية، ليأخذ طابعًا عدائيًا يستهدف شرائح واسعة من السوريين، مثل العلويين، والشيعة، والمسيحيين، والأكراد؛ إذ أُطلقت عليهم أوصاف طائفية مهينة، ومنها "الخنازير" و"الرافضة"، مع دعوات صريحة إلى قتلهم، بدعوى الدفاع عن الإسلام[3].

بعد سقوط نظام الأسد، شهد خطاب تنظيم داعش تحوّلًا واضحًا، باتجاه إعادة هندسة العدو المركزي في سرديته، إذ انتقل من توصيف النظام السابق بوصفه "النظام النصيري المرتد"، إلى إعادة إنتاج عدو بديل يتمثل في الحكومة السورية الحالية. وقد بدا هذا التحول صريحًا في افتتاحية صحيفة (النبأ) الصادرة بتاريخ 16 أيار/ مايو 2025 (العدد 496)، بعنوان "على عتبة ترامب!"، حيث هاجم التنظيم اللقاء الذي جمع رئيس الحكومة السورية، (رمزت إليه الافتتاحية بالجولاني)، مع الرئيس الأميركي، وعدّه خيانةً صريحةً وانحرافًا عن "المنهج الجهادي". وفي سياق بناء هذا الخطاب، استند داعش إلى مفهوم "الارتهان" بوصفه

(1) The Sectarianism of the Islamic State: Ideological Roots and Political Context, Carnegie Endowment for International Peace, Published in December 2016, https:/ / shorturl.at/ eGcye

(2) التطرف وعنف الكيانات غير الحكومية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1 تموز/ يوليو 2024، الرابط: https:/ / shorturl.at/ eFAjn

(3) مع استغلال داعش للفراغ في سورية.. هل يتنازل ترامب عن القتال لتركيا؟، المونيتور، 12 كانون الأول/ ديسمبر 2024، الرابط: https:/ / shorturl.at/ 3Wlvp

إطارًا تفسيريًا يقدّم الحكومة الجديدة كسلطة "تعمل تحت الوصاية الأجنبية"، وتستمد قوتها من الدعم الأميركي والدولي، لا من شرعية الداخل السوري.

هذا الاستخدام المكثّف لمفهوم "الارتهان" لا يظهر بوصفه اتهامًا سياسيًا متفرّقًا، بل كجزء من إستراتيجية متكاملة لإعادة تعريف العدو في مرحلة ما بعد الأسد. ففي أدبيات التنظيم، يشكّل إعادة تعريف الخصم خطوة ضرورية لإعادة إنتاج مشروعية الصراع، والحفاظ على موقع التنظيم كممثل وحيد "للشرع والتمكين". ولذلك، فإن استهداف الحكومة السورية بالخطاب ليس عارضًا، بل يمثل عملية نقل مقصودة لمركز العداء، من "النظام النصيري" إلى "نظام مرتد جديد"، مع تقديمه كامتداد عضوي لـ «المشروع الصليبي»، ولكن بواجهة سورية.

وبهذا يصبح خطاب داعش في هذه المرحلة خطابًا مزدوج الوظيفة: نزع الشرعية عن السلطة الجديدة عبر وصفها بالارتهان للغرب؛ وإعادة تثبيت التنظيم كفاعل مقاوم يقف في مواجهة القوى الدولية والمحلية بوصفها جبهة واحدة. وتُظهر هذه الدينامية أن التنظيم لم يكتف بتغيير خصمه، بل أعاد بناء منظومة كاملة من المفردات والمفاهيم لتبرير هذا الانتقال، وفي مقدمتها مفهوم "الارتهان" الذي تحوّل إلى حجر زاوية في روايته الجديدة [4].

ولم يقتصر التنظيم على تغيير وجهة العداء، بل صعّد من دعوته إلى العنف، معتبرًا أن المرحلة الانتقالية ليست سوى استبدال للنظام السابق بآخر جديد، مؤكدًا لأنصاره أن جوهر العداوة لم يتبدّل، وأن القتال يجب أن يتواصل بوتيرة أشد، وتبرز هنا عبارة لاذعة أوردتها افتتاحية (النبأ)، تعليقًا على مساعي الجولاني للحصول على القبول الدولي، إذ جاء فيها: "الطريق إلى السلام يمرّ من عتبة البيت الأبيض"، في إشارة ساخرة إلى ما يراه التنظيم ارتهانًا لقيادات المرحلة الانتقالية للأميركيين.

وتُظهر افتتاحيتا صحيفة النبأ، في 16 أيار/ مايو 2025 (العدد 496) و10 تموز/ يوليو 2025 (العدد 503)، مسارًا متدرجًا في إعادة تشكيل خطاب تنظيم داعش تجاه الحكومة السورية بعد سقوط نظام الأسد، حيث يتبدّى انتقال التنظيم، من مرحلة توصيف السلطة السابقة بوصفها "النظام النصيري المرتد"، إلى مرحلة إعادة تعريف الخصم السياسي داخل المشهد السوري الجديد. ففي افتتاحية العدد 496، المعنونة "على عتبة ترامب!"، يُعاد بناء العداء من خلال تصوير الحكومة السورية بوصفها سلطة ناشئة "مرتهنة" للغرب، ويُقدَّم اللقاء مع الرئيس الأميركي باعتباره دليلًا عقديًا على التبعية، وهو ما يظهر في العبارة التي وردت في الافتتاحية: "من ارتضى أن يقف على عتبة البيت الأبيض، فلن يقف على عتبة الإسلام يومًا". ويُقدَّم مفهوم "الارتهان" هنا باعتباره أداة مركزية لنزع الشرعية، حيث يصبح الدعم الدولي قرينةً تُستخدم لإعادة تصنيف الحكومة ضمن دائرة "الردّة"، على نحو يتسق مع ما تشير إليه الأدبيات الجهادية حول توسيع مجال تعريف العدو عند تبدّل البنية السياسية المحلية.

ويتعمّق هذا التوجّه أكثر في افتتاحية العدد 503 "حصحص الحق!" التي تنتقل من الخطاب التعبوي العام إلى سردية انكشاف داخلي تقدّم الحكومة السورية كـ «دليل حيّ»، على صدقية أطروحة «حكم الطاغوت». ويستخدم التنظيم في هذا العدد لغة تهكمية تُطرح في سياق برهاني، إذ ترد عبارات مثل «الطريق إلى السلام يمر من عتبة البيت الأبيض»، و «ما تبدّلت راياتهم إلا بمقاس يُرضي حملته في البيت الأبيض»، وهي عبارات لا تهدف إلى التندّر، بقدر ما تعمل على تحويل السخرية إلى أداة تجريد شرعي تُعيد تأويل أي تحرك دبلوماسي بوصفه علامة على «موالاة الكفار». وبهذا يجري توظيف السخرية داخل البنية

(4) خطاب التعصّب والكراهية والتطرف: مجلات تنظيم الدولة داعش أنموذجًا، (دراسة تحليلية)، الرابط: https://shorturl.at/u6Se6

الحجاجية للتنظيم، لا كصيغة لغوية، بل كآلية إثبات، بما يعيد إنتاج ثنائية جديدة في تعريف الخصم: سلطة انتقالية مرتدة في مقابل مشروع غربي تتولى تنفيذه، وهو ما يتيح للتنظيم إعادة تدوير قاموس "الحرب على المرتدين"، ضمن سياق سوري محلي أكثر تحديدًا.

في هذا الإطار، تبرز قيمة هذا التحوّل بوصفه انتقالًا تنظيريًا في فهم داعش للبيئة السياسية، إذ يجري تثبيت الحكومة السورية بوصفها "العدو الأقرب"، وفق المنطق الذي رصده باحثون عدة، مثل توماس هيغهامر في دراساته حول تحولات العداء لدى الحركات الجهادية، حيث يُعاد تركيز الخصومة باتجاه السلطة المحلية الجديدة فور انهيار النظام السابق. ونتيجة لذلك، يصبح خطاب التنظيم في العددين معًا ليس مجرد تعليق سياسي على التحولات الراهنة، بل عملية مقصودة لإعادة هندسة الشرعية، تُعاد فيها صياغة بنية الحُكم في سورية بعد سقوط الأسد ضمن إطار عقدي يسمح للتنظيم بإعادة تموضع دوره بوصفه الخصم الذي يواجه "الدولة" لا "النظام" فحسب، وبآليات لغوية وتفسيرية تستثمر مفهوم "الارتهان" لإثبات أن السلطة الجديدة تشكّل استمرارًا للمشروع الغربي بوجه مختلف.

وتُظهر افتتاحية صحيفة (النبأ) الصادرة بتاريخ 4 كانون الأوّل/ ديسمبر 2025 (العدد 521)، تحت عنوان "أتاتورك في واشنطن!"، كيف يوظف تنظيم الدولة خطابه الإعلامي في إعادة بناء تصور العداء بعد سقوط نظام الأسد، عبر سرد مشهدي يقوم على ربط اللحظة السياسية الراهنة بسردية تاريخية حول هدم الخلافة واستمرار خط الخيانة. وتقدّم الافتتاحية نصًا محمّلًا بالدلالات، حين تقول: "في ذكرى هلاك أتاتورك خادم اليهود والنصارى، التقى الجولاني بالطاغوت الأميركي، في زيارة رسمية إلى عاصمة الشر واشنطن، للتنسيق بشأن الحرب على الإرهاب وحماية المصالح الأميركية اليهودية، وهي نفس الأهداف التي أفنى أتاتورك عمره في تحقيقها، فما أشبه اليوم بالبارحة!". ويكشف هذا السرد كيف يعمل التنظيم على تشكيل وعي القرّاء، عبر دمج رمزي يساوي بين القيادات السياسية المعاصرة في سورية والمنطقة، وبين الشخصيات التي تُحمّلها الميثولوجيا الجهادية مسؤولية تقويض السيادة الإسلامية، بما يحوّل المشهد السياسي بعد سقوط النظام إلى امتداد تاريخي لمسار انحراف عقائدي لا ينفصل عن لحظة سقوط الخلافة. ويعيد النصّ صياغة التحولات الجارية بوصفها فصلًا جديدًا من مواجهة عالمية بين الإسلام وخصومه، الأمر الذي يسمح للتنظيم بالانتقال من لغة التمكين والسيطرة إلى لغة إثبات الوجود عبر نزع المشروعية الدينية والسياسية عن الحكومة السورية الانتقالية وتصويرها كجزء من منظومة دولية تستهدف الإسلام، لتستقر الحجة الدعائية عند اعتبار العنف ضرورة وجودية تستمد معناها من سردية تاريخية متواصلة لا من سلطة قائمة.

التوصيف الطائفي والتكفيري لفصائل المعارضة في خطابات داعش

تميّز خطاب تنظيم داعش خلال السنوات الماضية، تجاه فصائل المعارضة السورية، بنبرة تحقيرية وتكفيرية ممنهجة، إذ حرص التنظيم على نزع الشرعية الدينية عن هذه الفصائل، وتصويرها على أنها خائنة للإسلام. ففي سرديات صحيفة (النبأ)، تُوصَف مختلف الفصائل المعارضة، سواء العلمانية منها أو الإسلامية المناوئة لداعش، بأنهم «مرتدون»، «صحوات»، «أدوات بيد الكفار»[5]. وعلى الرغم من أن الدراسة تركّز منهجيًا على مرحلة ما بعد سقوط النظام، فإن استدعاء نموذج مبكر من خطاب التنظيم يكتسب مشروعية تحليلية، لأنه يكشف جذور البنية الخطابية التي يعاد تفعيلها في الزمن اللاحق، ففي مطلع شهر كانون الثاني/ يناير 2014[6]، اتهم المتحدث باسم التنظيم «أبو محمد العدناني»، فصائل المعارضة بأنهم أصبحوا «طائفة ردّة وكفر»، بسبب مشاركتهم في قتال الدولة الإسلامية، مهددًا إياهم بالقتل والاستئصال، وعدّهم أهدافًا مشروعة للتنظيم. ومن خلال هذا التحليل الدلالي، يتبين أن التنظيم لا يعدّ خصومه المحليين منافسين سياسيين، بل مادة قتال مباشرة، يتم شرعنتها بآلية التكفير، وأن هذا البناء المفاهيمي هو الذي يفسر استهداف جبهة النصرة (هيئة تحرير الشام) لاحقًا، ثم تشكيلات الجيش الحر، قبل استهداف قوات النظام أو التحالف الدولي. وبمجرد انتقال سورية إلى مرحلة ما بعد سقوط الأسد، يصبح هذا الإرث الخطابي القالب الذي يعاد تفعيله، إذ تُدمج الحكومة السورية الناشئة داخل الإطار نفسه، بوصفها سلطة محلية «مرتدّة»، تستوفي الشروط التي تجعلها في نظر التنظيم أولوية قتالية. وبهذا يتحول المثال المبكر إلى عنصر تفسير جوهري، يساعد في فهم المنطق الذي يقود داعش في إعادة إنتاج خطاب التكفير بعد عام 2024، حيث لا يشكّل الزمن الفاصل بين المرحلتين قطيعةً، بل يمثل استمرارًا لبنية ذهنية تقوم على تحويل الخصم الداخلي إلى عدو شرعي تجب محاربته قبل أي قوة خارجية[7].

ضمن هذا الإطار، يطلق تنظيم داعش على خصومه سلسلة من التسميات والنعوت التي تحمل حمولة تكفيرية واضحة. فإلى جانب مصطلح "الصحوات" الذي يشير أصلًا إلى الفصائل التي تعاونت مع الأميركيين ضد التنظيم في العراق، بات التنظيم يوسعه ليشمل أي جماعة سنية تحاربه في سورية[8]، حيث يستخدم أوصافًا مثل "المرتدين" و "عملاء الصليبيين" و "عبّاد الديمقراطية"، بهدف تجريد هؤلاء الخصوم من أي بعد إسلامي، وقد اتسع نطاق هذه التوصيفات ليشمل حتى الفصائل ذات المرجعية الإسلامية التي رفضت مبايعة داعش. فعلى سبيل المثال، وصف التنظيم جبهة النصرة (هيئة تحرير الشام) بأنها "فرع للقاعدة انحرف وباع دينه"، ثم طوّر الخطاب وصفها بأنها "ذراع لتركيا والصليبيين"، بعد قبولها التعاون ضمن ترتيبات محلية[9].

---

(5) التقرير الفني لورشة عمل خبراء حول مواجهة دعاية التجنيد لتنظيم داعش، مركز كارتر، نُشر في 22–24 شباط/ فبراير – آذار/ مارس 2016، الرابط: https:/ / gy.rb/ pxctc9

(6) Terrorism Monitor Volume VII, Issue 19, refworld, Published on 2 July 2009, https:/ / shorturl.at/ 0JUTg

(7) Selling the Long War: Islamic State Propaganda after the Caliphate, Published on November 2028, https:/ / shorturl.at/ 4Zvnu

(8) عقيدة تنظيم داعش دراسة في المرجعيات الفكرية والعقيدة الدينية، مجلة حمورابي، 2022، الرابط: https:/ / at.shorturl/ YJR01

(9) الخارجية القطرية: إنهاء العقوبات الأمريكية خطوة ضرورية لدعم الشعب السوري، سانا، 4 تموز/ يوليو 2024، الرابط: https:/ / at.shorturl/ l0Cz2

بعد سقوط نظام الأسد وتبلور معادلة سياسية جديدة في سورية، صعّد تنظيم داعش من حدة خطابه ضد الفصائل الإسلامية المسلحة الأخرى، وعلى رأسها هيئة تحرير الشام. واستمر التنظيم في اتهام تلك الجهات بأنها أصبحت أدوات تخدم المشروع الدولي، خاضعة للتدجين الفكري والتجنيد لخدمة الأجندات الغربية[10].

يظهر مفهوم "التدجين" كإحدى الأدوات المركزية التي أعاد تنظيم داعش استثمارها، في خطابه الدعائي خلال العام الأول من مرحلة ما بعد سقوط نظام الأسد، بوصفه إطارًا تفسيريًا يسمح بإعادة تعريف الفاعلين العسكريين والسياسيين في سورية، وتجريدهم من الشرعية الثورية أو الجهادية التي حملوها سابقًا. ففي العدد (473) من صحيفة النبأ بتاريخ 12 كانون الأول/ ديسمبر 2024، قدّم التنظيم مقالة بعنوان "تدجين وتجنيد"، تُشبّه التحولات التي طرأت على الفصائل المسلحة التي كانت تُصنف ضمن الطيف الجهادي، بعملية "ترويض" أفقدتها استقلالها القتالي، وحوّلتها إلى سلطات محلية تعمل -وفق خطابه- على تنفيذ سياسات تخدم «النظام الدولي».

يمثل هذا الاستخدام لمفهوم "التدجين" استعارة حيوانية ذات حمولة أيديولوجية واضحة؛ إذ تُعامِل الفصيلَ المتحوّل بوصفه "كائنًا مروّضًا" انتُزع من بيئته القتالية الأصلية، وأُخضع لقوة خارجية تتحكم في حركته واتجاهاته. هذه الاستعارة ليست مجرد توصيف لغوي، بل وسيلة لإنتاج سردية تُسقِط عن الخصوم صفة الفاعل المقاوم، وتُظهرهم أدوات قابلة للإدارة والضبط، وهو ما يسهل على التنظيم إعادة هندسة صورته كآخر أطياف "القتال الحقيقي"، في مقابل فصائل أصبحت -بحسب توصيفه- جزءًا من منظومة سياسية مندمجة مع الغرب.

إلى جانب البعد الحيواني، يكتسب مفهوم "التدجين" وظيفة سياسية صريحة في خطاب التنظيم، إذ يرتبط بعملية التحول من العمل المسلح إلى إدارة السلطة المحلية، حيث يرى داعش أن قبول الفصائل بقواعد الحكم الجديد في سورية، أو انخراطها في ترتيبات الإدارة الانتقالية، يُعَدّ انزلاقًا نحو خدمة المشروع الدولي. وتتيح هذه القراءة للتنظيم إعادة تعريف هذه القوى ليس بوصفها "خصومًا جهاديين"، بل بوصفها "سلطات وكيلة" فقدت استقلاليتها واندمجت في شبكة المصالح الدولية.

ويتعمّق هذا البناء الخطابي في العدد (495) من صحيفة النبأ الصادر في 15 أيار/ مايو 2025، حيث اتهم التنظيم «أبو محمد الجولاني»، الرئيس الانتقالي لسورية، بـ«الردّة والعمالة لليهود والصليبيين»، عقب اجتماعه العلني مع مسؤولين غربيين ومساعيه للحصول على دعم دولي، وقد استخدم التنظيم مصطلحات مثل "الطاغوت"، ولا يقتصر هذا الاستخدام على تجريم فعله السياسي، بل يهدف إلى توسيع دائرة العدو لتشمل السلطة الانتقالية نفسها، وتحويلها إلى هدف مشروع للتنظيم وأنصاره. وهكذا، يُعمل على ربط القيادة الجديدة بالأعداء التاريخيين للإسلام في الوعي الجمعي لأنصار التنظيم، لتعزيز القدرة على حشد المناصرين ضدها، وإعادة تبرير العنف تجاهها. وبذلك يتبين أن مفهوم "التدجين" يعمل ضمن بنية ثلاثية لدى التنظيم:

- طبقة حيوانية تنزع عن الخصوم صفة الفعل الحر وتضعهم في موقع الكائن المروّض.
- طبقة سياسية تُظهِرهم كسلطات محلية تخدم مشروعًا دوليًا.

(10) هل يدخل داعش في مواجهة مفتوحة مع السلطات السورية الجديدة، صحيفة العرب، نشر في حزيران/ يونيو 2025، الرابط: https:// shorturl.at/ nGfhE

- طبقة دينية تكفيرية تُحوّل اختلافهم السياسي إلى رِدّة تشرعن استهدافهم.

هذه الآلية تتيح لداعش المحافظة على سرديته القتالية في بيئة سياسية جديدة تمامًا بعد سقوط النظام، وتمنحه لغة قادرة على إعادة إنتاج ثنائية (نحن/ هم)، في سياق فقد فيه العديد من مبررات وجوده السابقة. وهي تُسهم في إعادة توجيه العنف نحو السلطات الناشئة، وتكريس صورة التنظيم كآخر ممثلي «الجهاد غير المروّض»، في مواجهة ما يعتبره "نسخًا مهجنة" من الفصائل التي فقدت مشروعها العسكري والرمزي.

إن وظيفة هذا التوصيف التكفيري في استراتيجية تنظيم داعش تحمل أبعادًا متعددة. فمن جهة، يمثل أداة تحريض مباشرة لعناصر التنظيم كي يستبيحوا قتال الحكومة السورية الانتقالية والفصائل الأخرى دون تردد أو تراجع، باعتبارهم "مرتدين خارجين عن الملة" لا حرمة لدمائهم. ومن جهة أخرى، يُستخدم كسلاح دعائي لتشويه صورة هؤلاء الخصوم الجدد أمام الجمهور السنّي العام، من خلال تصويرهم كخونة تخلوا عن الدين وتحالفوا مع أعداء الأمة. وبهذا المسعى، يسعى التنظيم إلى حرمان منافسيه من أي تعاطف شعبي أو شرعية دينية.

ويظهر هذا النهج بوضوح في العديد من مقالات صحيفة (النبأ) وتقاريرها الصادرة حتى في المرحلة قبل سقوط نظام الأسد، إذ كثيرًا ما يورد التنظيم على لسانه أو على ألسنة مقاتليه عبارات مثل "لا فرق بين قتال النصيري والمرتد" [11]، في إشارة إلى أن مقاتلي الجيش الحر أو الفصائل الإسلامية التي عادته لا يختلفون في نظره عن النظام النصيري أو ربما يعتبرهم أسوأ. وقد تباهى التنظيم مرارًا باغتيال قادة من تلك الفصائل أو استهداف مقارهم، واصفًا ذلك بأنه "تطهير لصفوف المجاهدين من المنافقين". وقد أعلن صراحةً عن مكافآت لمن يقتل بعض قادة المعارضة البارزين، معتبرًا أن مثل هذه العمليات «تقرّب الأمةَ من النصر على الصليبيين والعملاء»[12].

يحتل مفهوم "التطهير" موقعًا محوريًا في الخطاب الدعائي لداعش، إذ يستخدمه التنظيم لبناء ثنائية حادة بين "الجماعة المؤمنة" و"الصفوف الملوّثة بالمنافقين"، بما يسمح له بصياغة مبرر ديني-هوياتي للعنف، ضد الفاعلين الثوريين أو المحليين الذين خرجوا من عباءته أو خالفوا منظومته الأيديولوجية. ويعتمد التنظيم في هذا المفهوم على لغة تُحاكي طقوس إزالة الدنس، بحيث يصبح التخلّص من الخصوم عملًا تعبّديًا يُعيد الجماعة إلى «نقائها الأصلي».

في هذا السياق، تباهى التنظيم مرارًا بعمليات الاغتيال والاستهداف التي نفّذها بحق قادة فصائل المعارضة أو مقارها، واصفًا تلك العمليات بأنها "تطهير لصفوف المجاهدين من المنافقين". هذا الاستخدام المكثّف لمصطلح التطهير لا يعكس مجرد وصف للعنف، بل يمثّل إطارًا دلاليًا يهدف إلى إعادة ضبط حدود الجماعة في كل مرحلة سياسية جديدة، وخصوصًا بعد سقوط النظام عندما فقد التنظيم جزءًا من قدرته على تحديد «العدو المركزي» بشكل تقليدي.

(11) هل يدخل داعش في مواجهة مفتوحة مع السلطات السورية الجديدة، صحيفة العرب، حزيران/ يونيو 2025، الرابط: https://shorturl.at/nGfhE

(12) تتكرر في صحيفة "النبأ" التابعة لتنظيم داعش أوصاف تكفيرية مثل "الصحوات"، "المرتدّين"، "عملاء الصليبيين"، و"عباد الديمقراطية"، في إطار نزع الشرعية عن خصومه، حتى من كانوا فصائل ذات مرجعية إسلامية. في العدد 44 الصادر في تشرين الأول/ أكتوبر 2016، وصفت الصحيفة خصوم التنظيم بأنهم "مرتدون"، واعتبرت دعاة الدولة المدنية ضمن هذه الفئة، كما وسّعت مفهوم "الصحوات" ليشمل الفصائل السنية المقاتلة له في سورية. كذلك ورد وصفهم بـ"عملاء الصليبيين" و"شركاء اليهود"، في محاولة لربطهم بالعدو الخارجي، ونالت هيئة تحرير الشام حصة من هذا الخطاب، إذ وُصفت بأنها "فرع منحرف للقاعدة"، ثم "ذراع لتركيا والصليبيين" بعد تنسيقها مع أنقرة. هذه الأوصاف تعكس منهجية ثابتة في خطاب داعش تجاه خصومه.

ويذهب التنظيم أبعد من ذلك، إذ يعلن صراحةً تقديم مكافآت لمن يقتل بعض القادة المعارضين البارزين، معتبرًا تلك الاغتيالات خطوات "تقرب الأمة من النصر على الصليبيين والعملاء". وبذلك، يرتبط مفهوم "التطهير" بوظيفة مزدوجة:

- وظيفة داخلية: إعادة ترتيب الصفّ الجهادي، عبر إقصاء كل مَن يراهم التنظيم منحرفين عن خطه العقائدي أو متورطين في «موالاة الطواغيت». وهنا يتحول "التطهير" إلى عملية ترسيم حدود تُعرّف من هو الداخل ومن هو الخارج، ومن هو صالح للبقاء ضمن الجماعة ومن يجب التخلص منه.

- وظيفة خارجية: ربط استهداف خصوم التنظيم بالمعركة الكبرى ضد "الصليبيين" والنظام الدولي، بحيث تُصبح العمليات ضد الفصائل السورية أو قادتها جزءًا من "معركة كونية"، لا مجرد صراع محلي. وبهذا يُعاد إنتاج العنف الداخلي بوصفه حلقة من حلقات «الجهاد العالمي».

إن صياغة التنظيم لمفهوم "التطهير" تُظهر أنه يدمج بين البُعد الهوياتي والبُعد السياسي داخل آلية خطابية واحدة. فمن جهة، يقدّم الاغتيالات باعتبارها دفاعًا عن الهوية الجهادية «النقية». ومن جهة أخرى، يوظّفها كاستراتيجية سياسية لإضعاف البنى المعارضة وسحب شرعيتها عبر اتهامها بالنفاق والعمالة. وتتداخل هذه المقاربة مع مفهومي "التدجين" و "الردة" اللذين يستخدمهما التنظيم بالتوازي، لتشكيل منظومة خطابية متكاملة، تُعيد رسم حدود الجماعة في كل مرحلة انتقالية. فـ «المُدّجَّن» يُنزَع عنه استقلاله القتالي، و «المرتدّ» يُسحب منه الغطاء الديني، في حين يُقدّم "التطهير" بوصفه الآلية التنفيذية التي تترجم هذا الحكم الأيديولوجي إلى فعل عنيف. وبهذه الطريقة، لا يكون التطهير مجرد توصيف رمزي، بل أداة عملية لإنتاج العنف وتوجيهه، في مرحلة تتغير فيها الهويات العسكرية والسياسية بسرعة شديدة بعد سقوط النظام.

وتُظهر افتتاحية صحيفة (النبأ) الصادرة بتاريخ 31 تموز/ يوليو 2025 (العدد 506)، وهي بعنوان "رعاة خنازير الإفرنج!"، نموذجًا متكاملًا لتحوّل الشتيمة في خطاب تنظيم داعش، من وظيفة انفعالية إلى أداة تأطير عقدي تُنتج أثرًا مزدوجًا لغويًا وشرعيًا في آنٍ واحد. وتُراهن الافتتاحية على استراتيجية الحَيونة (animalization) بوصفها وسيلة تفكيك أخلاقي للخصم وإزاحته من مرتبة "الإنسان المسلم" إلى زمرة «المُباح قتله».

ويتأسس بناء الخطاب على محورَين متوازيَين: الأول نزع الإنسانية من الخصوم عبر وصفهم بـ"الخنازير"، بما يحمل من دلالات دينية ورمزية على النجاسة والانحطاط؛ والثاني الوصم المركّب الذي يربطهم بمنظومة "الإفرنج/ الصليبي" كقوة خارجية تُعادِل الكفر العالمي في أدبيات التنظيم. وهكذا تُطمَس الحدود بين السياسي والعَقَدي، ويتحوّل المعارض المحلي أو الفصيل الإسلامي المخالف إلى جزء من "المعسكر الكافر" نفسه، لا يُجادَل، بل يُستباح.

وتؤدي الصورة المصاحبة للعنوان دورًا بلاغيًا بالغ التأثير، إذ تُظهر وجوهًا مُشوَّهة أو مموّهة تجاور مفردة "الخنازير"، في اختزال بصريٍ يحوّل المشهد السياسي إلى مشهد تطهير رمزي. ويكتسب هذا التكوين بعدًا تعبويًا يسهّل تمرير فكرة "الإباحة الفقهية" للدماء تحت غطاء رمزي من «التطهير العقدي». وعلى هذا النحو، تتحول الشتيمة إلى آلية شرعنة وليست أداة سباب. فهي تُغلق باب التعاطف الجماهيري مع الفاعلين الإسلاميين أو المعارضين الذين ينازعون التنظيم على الجمهور السنّي، وتعيد ترتيب سلّم الأولويات القتالية، وفق المعادلة التي يكرّسها خطاب (النبأ): «قتال المرتدّ القريب أولى من الكافر البعيد».

صورة الخصم في خطاب تنظيم داعش: الجولاني بين «الرّدة» و«الارتهان»

حافظ تنظيم داعش في المراحل التي سبقت سقوط نظام الأسد، وبعدها، على خطابه التكفيريّ العدائيّ تجاه خصومه، وكان أحمد الشرع (أبو محمد الجولاني) وحكومته من أبرز المستهدفين بهذا الخطاب. ففي الفترة التي سبقت سقوط النظام، حين كان الشرع يقود حكومة الإنقاذ في إدلب، استهدفه التنظيم باعتباره خصمًا سياسيًا وعقديًا، واضعًا حكومته في صدارة قائمة الخصوم. ومع تولّي الشرع منصب الرئيس الانتقالي لسورية، وتحوّل حكومته إلى الحكومة السورية الانتقالية، واصل داعش حملته ضده، فلم يكتفِ بوصفه بـ «المرتدّ»، بل سعى إلى نزع شرعيته الدينية بالكامل، مطلقًا عليه وصف «عديم الشرع»، وذلك في افتتاحية العدد 495 من صحيفة (النبأ)، في تلاعب لفظي يهدف إلى الإيحاء بأنه خالٍ من الشريعة، كما أعادت افتتاحيتا الأعداد 503 و521 تصويره بوصفه «طاغوتًا منافقًا»، يحكم بالإكراه وتحت حماية الغرب. وبهذه الطريقة، يوظّف التنظيم هذا المعجم لوضع الشرع في المرتبة نفسها مع بشار الأسد وغيره ممّن يكفّرهم، وتجريد خصومه من أي مشروعية أو صفة إسلامية، وتبرير استهدافهم بوصفهم أهدافًا مشروعة في سياق معركته المستمرة.

يرسم تنظيم داعش في خطابه الإعلامي صورة شديدة السلبية لشخصية «أبو محمد الجولاني»، زعيم هيئة تحرير الشام سابقًا والرئيس الانتقالي لسورية حاليًا، يُعاد تشكيل صورة الجولاني في خطاب داعش عبر مزج ثنائية الردة والارتهان، بوصفهما ركيزتين جوهريتين في معمار نزع الشرعية. ويولي التنظيم شخصية الجولاني أهمية خاصة في دعايته ضد الفصائل، لما يمثله الرجل من ثقل في المشهد السوري الجديد. وتصف افتتاحيات صحيفة (النبأ) الجولاني بأنه "طاغوت جديد في الشام"، حلّ محل الطاغوت القديم، أي بشار الأسد، وترى أن صعوده لم يكن إلا نتيجة تخطيط ودعم مباشر من دول كافرة. فبحسب سردية التنظيم، لم يبلغ الجولاني ما بلغه إلا عبر وصاية تركية صريحة وغطاء أميركي مشروط. ويشكّل هذا الخطاب إعادة إنتاج واضحة للمعجم ذاته الذي استخدمه التنظيم خلال مرحلة "دولة العراق الإسلامية" بين عامَي 2006 و2010، في توصيف "الطواغيت المحليين" من زعماء الصحوات والفصائل السنيّة المناوئة؛ إذ يُعاد تدوير المفردات نفسها (الطاغوت، العمالة، الردّة، الارتباط بالأجنبي)، بوصفها أدوات لإقصاء الخصوم وإسباغ شرعية قتالهم، مع اختلاف الساحة وتبدّل الأشخاص فقط. بذلك، يبدو الجولاني في خطاب (النبأ) امتدادًا لنمط ثابت في هندسة العدو عند التنظيم، لا استثناءً خاصًا بالسياق السوري بعد سقوط النظام.

ويتوسع أحد مقالات (النبأ)، في العدد 488 الصادر في 27 آذار/ مارس 2025، بعنوان "الجولاني بين جدارَين!" في تناول المأزق الذي يراه التنظيم محيطًا بأحمد الشرع (أبو محمد الجولاني)، في موقعه الجديد كرئيس انتقالي لسورية؛ إذ يصوّره داعش واقعًا بين ضغطين متناقضين يصعب التوفيق بينهما. فمن جهة، يرى التنظيم أن الجولاني مضطر إلى تقديم تنازلات سياسية وأمنية كبيرة من أجل نيل الاعتراف الدولي وضمان استمرار الدعم الخارجي، ما قد يدفعه (من وجهة نظر داعش) إلى الابتعاد عن أي مشروع جهادي أو إسلامي صريح، والتحول إلى قيادة ذات طابع براغماتي أو حتى علماني لضمان بقاء حكومته. ومن جهة أخرى، يعتقد التنظيم أن القوى الدولية، رغم قبولها المؤقت بالجولاني وحكومته الانتقالية، لن تسمح بقيام مشروع إسلامي مستقل خارج نطاق سيطرتها الكاملة، ولو في إطار حكومة انتقالية، مما يضعه أمام حدود صارمة لا يستطيع تجاوزها. وبهذا الخطاب، يُظهر داعش الجولاني عالقًا أمام خيارَين أحلاهما مُرّ: الأول هو «أن يتخلى كليًّا عن المشروع الجهادي»، ويتحوّل إلى خطاب سياسي ذي طابع علماني في نظره؛ والثاني أن «يحافظ على طابعه الإسلامي»، فيواجه ضغوطًا هائلة قد تؤدي إلى عزله سياسيًا أو حتى إسقاط حكومته، من قبل القوى الدولية أو الأطراف المحلية المنافسة[13].

(13) Al-Naba 495: Islamic State's Propaganda Against al-Sharaa and the Syrian-Israeli Normalisation

يمثل هذا التصوير جزءًا من آلية دعائية راسخة في خطاب الجماعات المسلّحة، تقوم على ما تصفه الأدبيات بمفهوم الفشل المتوقع، وهو أسلوب يقوم على إحاطة الخصم بمسار حتمي مغلق يجعله في موقع العاجز الذي لا يمكن لمشروعه أن يكتمل أو يستقر. وفي هذا السياق، يعمل تنظيم داعش على ترسيخ فكرة أن مشروع الجولاني محكوم عليه بالفشل البنيوي وفق سرديته الداخلية، إذ يقدّمه إما تابعًا للقوى الإقليمية والدولية بما يعني في قاموس التنظيم الوقوع في الردة، وإما عاجزًا عن الاحتفاظ بسلاحه ونهجه، إذا اختار الاستقلال، الأمر الذي يضعه أمام اجتثاث دولي ومحلي لا قدرة له على تحمله. ويؤدي هذا البناء الخطابي وظيفتين مترابطتين: الأولى تعبئة جمهور التنظيم بقناعة أن خصومه ماضون نحو نهايتهم بصورة محتومة، والثانية نزع أي إمكانية لشرعية مستقرة لدى الحكومة السورية الانتقالية، من خلال تصويرها كمشروع هش محاصر منذ لحظة تشكله[14].

وبهذا الاستخدام المكثف لصورة الجولاني، بوصفه شخصية «مرتدة» و «مرتهنة»، يسعى تنظيم داعش إلى تحقيق هدفين أساسيين: **الأول** هو شيطنة الحكومة السورية الانتقالية في نظر عموم المناصرين والتيار الجهادي العالمي، ووصفها بأنها خائنة للدين تسعى لتحقيق مكاسب سلطوية على حساب العقيدة. **والثاني** هو تحصين أتباع التنظيم، نفسيًا وفكريًا، ضد أي ميل نحو هذه الفصائل، سواء على مستوى الانضمام إليها أو حتى مجرد التعاطف معها، من خلال الإيحاء بأن مصير الجولاني سيكون درسًا صارمًا لكل من يفكر في نبذ نهج القتال المستمر.

تبرير العنف كأمر شرعي وعدل إلهي

يرتكز خطاب تنظيم داعش على إعادة تأطير العنف المسلّح داخل ما تسميه الأدبيات «العنف الأخلاقي»، حيث يُعاد تعريف القتل والقتال لا بوصفهما أفعالًا صراعية أو أدوات سياسية، بل باعتبارهما ممارسة مُشرعنة دينيًا تحمل قيمة أخلاقية عليا. ووفق هذا المنظور، يصبح العنف فريضة شرعية وعدلًا إلهيًا تجب إقامته، وهي صياغة تنسجم مع ما توضحه الدراسات التي تناولت الطريقة التي تُعطي بها الجماعات الجهادية للعنف وظيفة أخلاقية تتجاوز طابعه الأداتي. وفي خطاب داعش في صحيفة (النبأ)، يُقدَّم الفعل المسلح بوصفه ترجمة مباشرة للإرادة الإلهية وأداة لتحقيق العدالة التي يراها التنظيم مهدورة في الواقع السياسي، ما يمنح المقاتل شعورًا بأنه يمارس واجبًا تعبّديًا يتجاوز الحسابات الدنيوية. ويتيح هذا الإطار للتنظيم تحويل العنف من فعل مدانٍ إلى فعل مأجور، ومن صراع جغرافي إلى تكليف رسالي، وبذلك تتماسك سرديته الداخلية، ويتعزز استعداد أنصاره للمواجهة عبر إحساس أخلاقي بالالتزام[15]. ومن هذا المنطلق، لا يُعد القتل أو التفجير أو الترهيب في نظر التنظيم خروجًا عن الدين، بل تطبيقًا لأحكام الشريعة بحق المرتدين والكفار وتنفيذًا لوعد الله بالانتقام من الظالمين، وهي رسالة يحرص إعلامه على تثبيتها بوضوح، لدى جمهوره وخصومه على حد سواء.

Tracks, Published on May 18, 2025, https:/ / shorturl.at/ 1mrzm

(14) تُظهر افتتاحيات صحيفة النبأ، لا سيّما في الأعداد 473 (12 كانون الأول/ ديسمبر 2024)، 486 (14 آذار/ مارس 2025)، و495 (15 أيار/ مايو 2025)، أن تنظيم داعش يصوّر مشروع «الجولاني» بوصفه مشروعًا هشًّا محكومًا عليه بالفشل، نظرًا لاعتماده على دعم خارجي وخضوعه لشروط القوى الدولية. ويرى التنظيم أن الجولاني أمام خيارين كلاهما مرّ: إما التخلي عن مشروعه الجهادي لصالح خطاب سياسي علماني يرضي المجتمع الدولي، وهو ما يعدّه التنظيم ردة عن الدين، أو الإصرار على طابعه الإسلامي وسلاحه، ما سيعرضه لاجتثاث دولي ومحلي. وتؤكد هذه الأعداد أن هيئة تحرير الشام لن تنجح في المناورة طويلًا، وأن صعود الجولاني ليس إلا امتدادًا لمشروع مدعوم خارجيًا، يهدف لضرب المشروع الإسلامي في الشام.

(15) Winter, Charlie. "Documenting the Virtual 'Caliphate': Inside ISIS's Propaganda Machine." Quilliam Foundation, 2015.

تعتمد مقالات صحيفة (النبأ) على التأكيد المتكرر أن قتال المخالفين واجب شرعي يُؤثَم تاركه، وتستدل بذلك بآيات قرآنية مثل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾، (التوبة: 36)، وأحاديث نبوية منها: «من قاتَلَ لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، (رواه البخاري).

يربط التنظيم هذه النصوص بواقع الصراع في سورية، ويقدِّم نفسه باعتباره الجماعة الوحيدة التي التزمت بالتكليف الإلهي، في مقابل اتهامه لبقية المسلمين بالتقصير في الجهاد، مما أدى (بحسب روايته) إلى تسليط الكافرين عليهم. ويظهر هذا المعنى بوضوح في أعداد صدرت في السنوات السبقة، ففي العدد 126 الصادر في تشرين الأول/ أكتوبر 2018، أشار التنظيم إلى أن الجهاد فرض غائب، وفي العدد 104 الصادر في أيار/ مايو 2018، أكد التنظيم أن السلاح هو السبيل الوحيد لمواجهة الطغيان. ويبرر التنظيم عنفه المفرط باعتباره رحمة بالأمة وتنفيذًا للعدل الإلهي، إذ يرى أن هذه الأعمال تكسر هيمنة الكافرين وتقتص للمظلومين من المستبدين. غير أن وصف العدل بـ «الحق» يُعَدّ فضفاضًا، لغويًّا، فالعدل قيمة لا تحتاج توصيفًا يضيف إليها صفة "الحق"، لأنه لا يُتصور وجود عدل من دون حقّ. وتُظهر هذه السردية مفارقة صارخة، فبينما يرى العالم في أفعال داعش جرائم دموية تثير الرعب والاستنكار، يسعى التنظيم إلى إعادة إنتاج المعنى ليقدّم نفسه كجهة تقتصّ «بأمر الله» من الطواغيت وأتباعهم، في محاولة لشرعنة العنف الديني وتحويله إلى واجب مقدس[16].

يقدّم العدد 483 الصادر في 20 شباط/ فبراير 2025، من صحيفة (النبأ)، مثالًا واضحًا على آلية التبرير الشرعي للعنف التي يعتمدها تنظيم داعش. يتضمن المقال المعنون «فكيف بهم غدًا؟!» سلسلة من النصوص الدينية التي يوظفها التنظيم لإثبات وجوب القتال وثواب الصبر عليه. يبدأ المقال بعرض حديث نبوي مشهور: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها...» (رواه أبو داود، وصححه الألباني)، ويُستخدم هذا الحديث لبيان أن تكالب الأعداء نتيجة حتمية إذا أهمل المسلمون فريضة الجهاد. يعزز المقال هذا الطرح بإبراز صورة مقاتلي التنظيم بوصفهم رجالًا خرجوا لا "طلبًا للدماء أو رغبة في الدنيا"، بل "ليعلوا دين الله ويحفظوا دماء المسلمين وأعراضهم".

يعمد التنظيم في المقال إلى تضليل القارئ، إذ يمنح أفعال التنظيم بُعدًا أخلاقيًا، ويتّخذ القتل والتفجير وسيلةً لحماية المستضعفين وإقامة حكم الله. ويصل إلى ذروة هذا التبرير عندما يستشهد بحديث: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، ليربط مباشرة بين نية المقاتل الدينية وشرعية الفعل العنفي. ويظهر هنا خلط متعمّد بين الغاية والوسيلة، إذ يتجاهل التنظيم السياق الفقهي والأخلاقي لهذه الأحاديث، ويختزل الجهاد في أفعال القتل، ما دامت تُعلَن نيتها تحت شعار "رفع كلمة الله". يمضي المقال ذاته في سرد مزيد من النصوص الدينية التي تُستخدم لتكريس فكرة أن النصر والتمكين لا يتحققان إلا عبر القتال والتضحية. يستشهد بحديث نبويّ رواه الترمذي: "لو أنّكم توكّلتم على الله حقّ توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا". ثم يعلّق متسائلًا: "أفيعجز الله أن ينصر عباده الموحّدين؟"، ليحمّل المسلمين مسؤولية الفشل، معتبرًا أن السبب لا يعود إلى ضعف النصرة الإلهية، بل إلى وهن اليقين وضعف التوكل. يُتبِع المقال ذلك بحديث آخر للنبي صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة"، ويَرِدُ هذا الحديث في كتب الشروح ضمن سياق دفاعي يربط القتال بحماية الدين وردّ العدوان، لا بفرض القتال بوصفه سمة وجودية دائمة. وقد تناولته شروح الحديث الكلاسيكية مثل (فتح الباري) لابن حجر العسقلاني بوصفه إخبارًا عن استمرار بقايا من الأمة تحافظ على الحق وتدافع عنه عند الحاجة، من دون جعل القتال هدفًا بذاته أو معيارًا للإيمان. أما في خطاب تنظيم داعش، كما يظهر في صحيفة (النبأ)، فيُعاد انتزاع الحديث من سياقه الدفاعي الأصلي وتوظيفه لتأكيد أن القتال هو

(16) Gartenstein-Ross, Daveed, and Nathaniel Barr. "How ISIS Governs." The Hudson Institute, 2016.

الجوهر المستمر للمؤمنين الحقيقيين، وأن "الطائفة المنصورة" التي تحدّث عنها الحديث لا تشير إلى الأمة عمومًا بل إلى التنظيم حصرًا. وبهذا التحويل، يصبح النص الديني عمليًا أداة لشرعنة القتال الدائم وربطه برضا إلهي مضمون، في حين أن الحديث في شروحه الأصلية لا يربط "الظهور" ولا "الحق" بكيان سياسي أو جماعة بعينها، ولا يستدلّ به الفقهاء على وجوب القتال المستمر أو تحويله إلى هوية عقائدية.

ثانيًا: أدوات التكفير والتصنيف العدائي للخصوم

يعتمد تنظيم الدولة في خطابه الدعائي على تقسيم صارم للعالم، إلى معسكر إيمان ومعسكر كفر، بحيث يُدرج كل من لا يوالونه، سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين، ضمن خانة المعسكر المعادي. ومن هذا المنطلق، طوّر التنظيم أدوات لفظية وتصنيفية حادّة لوصم خصومه وإلصاق وصمات دينية سلبية بهم تبرر معاداتهم واستهدافهم[17]. فعندما يتناول التنظيم القوى الكردية، مثل قوات سورية الديمقراطية وحلفائها، فإنه لا يذكرهم إلا تحت تسمية "ميليشيا PKK المرتدة"، جامعًا بذلك بين شيطنتين (بحسب التنظيم) في آن واحد:

- **الأولى: اتهامهم بالردة، كون غالبيتهم مسلمين انحازوا إلى مشروع علماني يساري بحسب سردية التنظيم.**
- **الثانية: ربطهم بحزب العمال الكردستاني، المصنّف لدى تركيا كجماعة إرهابية ماركسية. بهذه المزاوجة بين الانتماء الحزبي والاتهام العقدي، يسعى التنظيم لخلق وصمة مزدوجة تُدين الخصم دينيًا وسياسيًا في آن واحد.**

إن هذا الإسراف في التكفير والتصنيف العدائي لمختلف الخصوم يترك أثرًا مباشرًا على الواقع الميداني والاجتماعي في سورية، إذ يسدّ أي أفق للمصالحة أو إمكانية التعايش، ويجعل من الصدام الدموي الخيار الوحيد من منظور تنظيم داعش. ويُغذي روح الانتقام لدى عناصر التنظيم، الذين يشعرون بأنهم ينفذون حكم الله بحق أناس قد جُردوا من أي صفة إنسانية أو حقوقية بمجرد إدراجهم في خانة المرتدّين أو الكفار. وفي الوقت نفسه، يولد هذا الخطاب شعورًا عميقًا بالعداء لدى أولئك الذين صُنِّفوا كأعداء، ويزيد من صعوبة إعادة تأهيل أو دمج عناصر داعش مستقبلًا، لأن هؤلاء تربوا على رؤية جميع من حولهم كأعداء مشروعين يجب قتالهم أو التخلص منهم[18].

في افتتاحية صحيفة النبأ الصادرة بتاريخ 28 آب/ أغسطس 2025 (العدد 510)، تحت عنوان "صناعة الطاغوت أو الإرهاب!"، يتجاوز تنظيم داعش إعادة إنتاج مفردات التكفير الكلاسيكية، ليقدّم ما يشبه مخططًا معجميًا موجّهًا لإعادة تعريف المجال العام بأكمله داخل ثنائية الإيمان والردّة. ويحتلّ مفهوم الردّة في هذا البناء مكانة مركزية، إذ لا يُستخدم للإشارة إلى أفراد أو جماعات محددة فحسب، بل يُعاد تفكيكه وتوسيعه ليشمل أجهزة الدولة ومؤسسات المجتمع المدني بوصفها كيانات فقدت -وفق سردية التنظيم- شرط الشرعية الإسلامية. وبذلك تصبح الشرطة المحلية، والمجالس البلدية، والمحاكم، ومنظومات المراقبة، حتى الهيئات الخدمية والتنموية، أجزاءً من منظومة "طاغوتية" تُدرج آليًا تحت خانة الردّة. ويتيح هذا التوسيع للتنظيم تحويل أي كيان مؤسسي إلى خصم عقدي، لا بوصفه بنية إدارية أو خدمية، بل بوصفه تجسيدًا لسلطة بديلة عن "حكم الله". وتقترح الافتتاحية مقابلة خطابية: ما تعتبره السلطات "مكافحة إرهاب" هو في سردية التنظيم "صناعة للطاغوت"، أي تصنيع متواصل لعدو ينبغي قتاله. ويؤدي

(17) Ingram, Haroro J. "An Analysis of Islamic State's Dabiq Magazine." Australian National University, 2016, https:/ / tinyurl.com/ z2kejjnf

(18) حسن أبو هنية، الدولة الإسلامية: الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

هذا الانزياح التعريفي وظيفتين: الأولى توسيع دائرة الشرعنة القتالية لتشمل مرافق خدمية وأمنية. والثانية تحييد النقد عبر قلب التهمة، فكل اتهام يُردّ بتهمة معاكسة "أنتم صانعو الإرهاب". والنتيجة شبكة دلالية تُقصي إمكان الحياد أو الشراكة، وتعيد إنتاج ثنائية صفرية: إمّا الخلافة وإمّا طاغوت مُصنَّع يجب هدمه.

ثالثًا: داعش والأقليات في سورية: تغذية الفتنة والطائفية بين الخطاب العقائدي والاستغلال العملياتي

رافقت مرحلة ما بعد النظام السوري السابق عودة خطاب "حماية الأقليات" إلى الواجهة، إذ روّجت أطراف محلية وإقليمية لمسألة الأقليات وضرورة تأمينها ضمن ترتيبات "السلم الأهلي"، في محاولة لاستدرار التعاطف الدولي والحفاظ على معادلات النفوذ الداخلية. غير أن تنظيم داعش ردّ بخطاب مضاد، يهدف إلى نسف الأساس الذي يقوم عليه التخويف الطائفي من مشروع الدولة الإسلامية، معتمدًا على رواية مزدوجة تجمع بين العنف الطائفي الميداني والدعاية العقائدية التي تدّعي العدالة والإنصاف.

تبقى الورقة الطائفية واحدة من أخطر الأدوات في خزانة داعش الاستراتيجية، إذ يلجأ التنظيم إليها لتوسيع رقعة الفوضى وتعظيم حضوره في البيئات الهشّة. وقد أدرك مبكرًا أن الصراع المذهبي في سورية يشكل البيئة الأنسب لنموه وتبرير وجوده باعتباره حاميًا لأهل السنّة. ولهذا لم يتوقف خطاب صحيفة (النبأ) عن التحذير من الأقليات وتصويرهم كتهديد داهم، ما يعني أن التنظيم قد يسعى مستقبلًا إلى تأجيج الفتنة المذهبية، كلما سنحت له الفرصة. ويُعدّ العدد 486 الصادر في 13 آذار/ مارس 2025، بعنوان (نسف الأقلية والطائفية!)، مثالًا صارخًا على هذا النهج، إذ ينفي التنظيم فيه تهمة السعي لإبادة الأقليات الدينية أو المذهبية، مؤكدًا -في المستوى النظري- التزامه بأحكام الإسلام المتعلقة بالبرّ والعدل تجاه من لا يقاتله من غير المسلمين.

إلا أن هذا الخطاب لا يمكن فهمه دون تحليل الفارق بين مفهوم الذمي ومفهوم المحارب في التراث الفقهي. فالذمّي هو من يُقرّ له الشرع بالحماية والعيش داخل الدولة الإسلامية، مقابل التزام عقدي ومالي محدد (الجزية)، ويتمتع بضمانات واضحة تحظر الاعتداء عليه وتوجب رعايته. أما المحارب فهو من يدخل في حالة عداء أو اعتداء مسلح، وتُنظَّم معاملته ضمن قواعد القتال الشرعي. في خطاب داعش يختفي هذا الفارق تمامًا، إذ يجري تمييع الحدود بين الفئتين، بحيث تُصنّف الأقليات كلها في خانة "المحاربين" أو "المرتدين"، بمجرد انتمائها الإثني أو العقائدي أو ارتباطها بمؤسسات الدولة الجديدة أو القوى الدولية. وبهذا الخلط المتعمّد، تنتفي الضمانات التقليدية الممنوحة للذمّيين، ويصبح أي فرد أو جماعة من الأقليات هدفًا مشروعًا في نظر التنظيم باعتبارهم جزءًا من «المعسكر الطاغوتي».

ويهدف هذا الخطاب المزدوج، تكفير الأقليات من جهة، والتعهّد بعدم ظلمهم إن استسلموا من جهة أخرى، إلى كسب تأييد العامة من السنّة عبر تقديم التنظيم كقوة عادلة تطبّق «حُكم الله»، كما يهدف إلى عزل الأقليات وشحن الكراهية ضدهم داخل إطار دفاعي يبرر أي تصعيد محتمل. وهذا الدمج بين المظلومية السنّية والتهديد الوجودي المزعوم للأقليات يشكّل أحد أهم أعمدة استراتيجية التعبئة الطائفية لدى التنظيم.

ميدانيًا، يظل استهداف الأقليات، سواء عبر إيذائهم مباشرة أو باستهداف مقدساتهم، خيارًا مطروحًا لدى داعش، كلما رغب في توسيع رقعة الفوضى، رغم ما قد ينطوي عليه ذلك من مجازفة باستفزاز المجتمع الدولي. فالقيام بتفجير ضد تجمع مدني علوي أو درزي، أو إرسال انتحاري إلى احتفال ديني مسيحي مثلًا، من شأنه أن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء ويحرج كل الجهود السياسية القائمة عبر إشعال فتيل اقتتال أهلي جديد. ويبدو أن التنظيم يراهن على أنّ ردود فعل انتقامية عشوائية قد تصدر عن جماعات طائفية بحق المدنيين السنّة، ما يدفع المزيد من الشباب السنّي الغاضب إلى أحضانه طلبًا للحماية والانتقام، وبذلك تتحقق مصلحته في إشعال دورة جديدة من العنف.

يعمل التنظيم في كثير من الأحيان من خلف الستار على تأجيج صراعات محلية دون أن يتبناها رسميًا. قد يحرّض خلاياه النائمة في درعا على افتعال مواجهات بين عشائر سنيّة وفصائل موالية للحكومة الانتقالية، أو يستغل التوتر القائم بين العرب والأكراد في بعض مناطق دير الزور، لتنفيذ اغتيالات تستهدف شخصيات عشائرية، ثم يُحمّل جهة أخرى المسؤولية عنها، ما يؤدي إلى إشعال اقتتال يخدم مصالحه ويعيد خلط المشهد الأمني، ففي العدد 486 من صحيفة (النبأ)، يربط التنظيم بين خطاب الطائفية من جهة، وبين سياسات التفتيت التي تنتهجها الحكومة الانتقالية والدول الغربية من جهة أخرى، معتبرًا أن هذا الخطاب ليس إلا أداة مصممة لتفكيك المجتمع السوري إلى طوائف متناحرة. في المقابل، يصوّر التنظيم الإسلامَ كمشروع جامع يقوم على مبدأ الأخوّة ووحدة الصف، ويلغي ما يصفها بـ «الفوارق المصطنعة» بين مكونات الأمّة المسلمة. ويؤكد التنظيم كذلك رفضه لمفهوم "الأقلية" باعتباره وصفًا سياسيًا يُنتج انقسامًا غير مشروع، ويرى أن جميع الرعايا، ومن ضمنهم الشيعة والنصارى، يخضعون لحكم الشريعة الإسلامية من دون تمييز، ما لم يعلنوا الحرب على المسلمين.

رابعًا: انعكاسات خطاب التنظيم على الأمن المحلي والتحول السياسي

إنّ استمرار خطاب تنظيم الدولة الإسلامية بالحدّة والتطرّف الذي تكشفه أعداد صحيفة (النبأ) محل الدراسة ينذر بتبعات خطيرة على واقع الاستقرار والأمن في سورية، ويلقي بظلال ثقيلة على مسار التحول السياسي برمّته. ويمكن رصد عدة آثار مباشرة لهذا الخطاب على المشهد الداخلي:

- **تأجيج حالة عدم الاستقرار الأمني:** يسهم خطاب داعش الصدامي في إبقاء المناطق الخارجة عن سيطرة الحكومة الانتقالية في حالة توتر دائم. فدعوات التنظيم المتكررة لاستهداف قوات الأمن والجيش التابعين للحكومة الانتقالية أو قوات (قسد)، وإعلانه المستمر مسؤوليته عن عمليات اغتيال وتفجير، كلّها عوامل تجعل من الصعب ترسيخ الشعور بالأمان بين الناس. وهذا يفرض على السلطات المحلية إبقاء قواتها في حالة تأهب دائم، وهو ما يرهق مواردها، ويشتت تركيزها بين حفظ الأمن الداخلي وملاحقة خلايا التنظيم. أما بالنسبة للمدنيين، فإن تكرار الحوادث الأمنية، وإن كانت محدودة، يزرع الخوف وينشر الشائعات ويقوّض الثقة بأي ترتيبات جديدة. وقد يتردد الناس في التنقّل أو حضور التجمعات العامة خشية التعرض للهجمات، ما يخلق بيئة مضطربة يستفيد منها التنظيم الذي يزدهر وسط الفوضى.

- **إضعاف جهود بناء الثقة خلال التحول السياسي:** تعمل الحكومة الانتقالية، مدعومة من أطراف دولية، على إرساء سلطة جديدة تحظى بالقبول الشعبي كبديل للنظام السابق. إلا أن خطاب داعش يسعى لهدم هذه الشرعية الوليدة من جذورها. فعندما يصف التنظيم الحكومة ومسؤوليها بالردة والعمالة، فهو يحاول ضرب مصداقيتهم الدينية والوطنية في مجتمع متديّن مثل المجتمع السوري.

يمثّل الطعن في الشرعية الدينية أحد أكثر أدوات الدعاية الداعشية تأثيرًا، إذ يتجاوز أثره حدود التشكيك السياسي التقليدي ليضرب الأساس القيمي الذي تستند إليه أي سلطة ناشئة في مجتمع متدين مثل المجتمع السوري. فعندما يصف التنظيم الحكومة ومسؤوليها بالردة أو العمالة، فهو لا ينازعهم في كفاءتهم السياسية ولا في خياراتهم الإدارية فحسب، بل يسعى إلى نزع الغطاء الديني عنهم، وتحويلهم في نظر الجمهور من فاعلين سياسيين إلى خصوم عقديين. وفي بيئة ترى في الدين معيارًا للحكم على السلوك العام والخاص، يصبح الطعن في الشرعية الدينية أكثر فاعلية من أي نقد سياسي، لأنه يقدّم اتهامًا يمسّ هوية الفرد ومكانته الأخلاقية قبل أن يمسّ موقعه الوظيفي أو السياسي.

ويتيح هذا الأسلوب للتنظيم اختصار الطريق نحو تعبئة جمهوره؛ فبدل الدخول في نقاش معقّد حول الأداء الحكومي أو السياسات العامة، يكفي تصنيف الحكومة باعتبارها «مرتدّة» أو «واقعة في صف الطاغوت»، ليصبح رفضها واجبًا شرعيًا لا خيارًا سياسيًا. ويخلق هذا الخطاب حالةً من التشويش الأخلاقي داخل المجتمع، إذ يُحوَّل الخلاف السياسي إلى صراع ديني يجعل أي تعاون مع الدولة الجديدة، مهما كان طابعه إداريًا أو خدميًا، سلوكًا مشكوكًا فيه عقديًا. وبهذا يتحوّل الطعن الديني إلى وسيلة لنزع الشرعية من أساسها، وإضعاف قدرة المؤسسات الناشئة على تثبيت نفسها كمرجعية أخلاقية وسياسية في مرحلة انتقالية تحتاج بشدّة إلى الاستقرار والقبول العام.

- **إطالة أمد الوجود الأجنبي والتدخل الدولي:** يمثّل داعش، بخطابه ونشاطه المستمر، حجة قوية لبقاء الأطراف الدولية والإقليمية في سورية. فالولايات المتحدة وحلفاؤها يبررون وجودهم العسكري هناك بذريعة استمرار خطر داعش. وهكذا، كلما بقي شبح داعش حاضرًا بخطابه وتحركاته، وجد اللاعبون الدوليون ما يبرر لهم إبقاء قواتهم أو تأجيل انسحابهم، مما يعطل استعادة الحكومة السورية الانتقالية السيطرة الكاملة على أراضي البلاد، ويجعل المشهد السوري رهينة توازنات ومصالح خارجية.

- **آثار اجتماعية وفكرية عميقة المدى:** لا يمكن تجاهل الآثار الاجتماعية والفكرية العميقة لخطاب داعش، خصوصًا على الشباب والفئات التي أنهكتها الحرب الطويلة. فالمزج بين النصوص الدينية والتأويلات المتشددة قد يجد طريقه إلى عقول بعض الأفراد الذين يعيشون حالة من اليأس وفقدان الثقة بالمسارات السياسية والاجتماعية البديلة. وتزداد خطورة هذا الأثر لدى الشرائح المهمشة اقتصاديًا أو المحرومة من التعليم، إذ يشكّل الحرمان والفقر وغياب الفرص بيئة خصبة لاستقبال الخطابات الراديكالية التي تعِد بالخلاص السريع، وتمنح الفرد شعورًا بالأهمية والانتماء. وفي مثل هذه السياقات، قد يتحول خطاب التنظيم إلى تعويض نفسي واجتماعي، يقدّم إجابات مبسطة على مشكلات معقدة، ويعيد تفسير الحرمان باعتباره ظلمًا يمكن الرد عليه بالعنف. وإن استمرار هذا النوع من التفكير يعني أن الأرض ستظل مهيأة لولادة تنظيمات مشابهة، حتى لو تلاشى داعش عسكريًا. ومن دون جهود جادة لتحصين العقول عبر التعليم، والإرشاد الديني المعتدل، وتحسين الأوضاع المعيشية، وتوفير شبكات دعم اجتماعي واقتصادي بديلة، ستبقى بذور التطرف التي زرعها التنظيم كامنة وقابلة للانفجار في أي لحظة.

خامسًا: استشراف نيّات التنظيم بخصوص هجمات مستقبلية في سورية

بالنظر إلى المؤشرات التي حملتها افتتاحيات وتقارير (النبأ) في الأعداد التي تم تحليلها، يمكن رسم ملامح واضحة لاستراتيجية تنظيم داعش المستقبلية في الساحة السورية، سواء على الصعيد العسكري المباشر أو الدعائي المصاحب له. فخطابه الإعلامي لا يكتفي برصد الواقع، بل يُظهر توجهات التنظيم ونيّاته لما يعتزم فعله، مما يتيح استشرافًا إلى حد ما لتحركاته المحتملة. وفي هذا السياق، يمكن تحديد أربعة محاور أساسية تعكس نيّات التنظيم بخصوص النشاط المستقبلي في سورية.

مواصلة حملة الاستنزاف والإصرار على نهج حرب العصابات ضد قوات (قسد) في شمال شرق سورية

تشير بيانات صحيفة (النبأ) إلى إصرار تنظيم داعش على مواصلة استراتيجية الاستنزاف التي يتبعها منذ خسارته معاقله الأساسية. فرغم فقدانه السيطرة على أي مدن كبرى، ما زال التنظيم ينفذ عمليات حرب عصابات في شمال وشرق سورية، مركّزًا على استهداف قوات سورية الديمقراطية (قسد) وحلفائها. وتوثّق (النبأ) بشكل متكرر هجمات التنظيم في أرياف دير الزور والحسكة والرقة، حيث شملت كمائن وتفجيرات استهدفت دوريات ونقاط حراسة وآليات تابعة لقسد، مستخدمًا في بياناته عبارات مثل «قُتل وأصيب عدد من مرتدي الـ PKK بانفجار عبوة ناسفة زرعها جنود الخلافة»[19]. ويعكس هذا النهج سعي داعش إلى إنهاك (قسد) بشريًا، وإرباكها أمنيًا، ومنع أي استقرار طويل الأمد في تلك المناطق. يتحدث التنظيم عن هذه العمليات ضمن إطار استراتيجيته "إدارة التوحش" التي تقوم على خلق فراغات أمنية وفوضى تتيح له التسلل وإعادة بناء حضوره عندما تسمح الظروف[20].

ويُلاحَظ أن لغة (النبأ) تحمل تحريضًا مباشرًا ضد (قسد)، حيث تصف عناصرها بأنهم "مرتدون عملاء"، وتدعو العشائر العربية إلى الانتفاض عليهم[21]، متهمة إياهم بأنهم أذرع للصليبيين والصهاينة. ويتوعد التنظيم بمواصلة حرب الاستنزاف حتى إخراج (قسد) من مناطق السنّة، ما يرجح تصاعد الهجمات في المرحلة المقبلة، سواء من حيث العدد أو من حيث النوع، ولا يُستبعد أن يُقدِم داعش على عمليات ذات وقع أكبر، مثل ما حدث في هجوم سجن غويران في الحسكة مطلع 2022 [22]، خصوصًا مع استمرار (النبأ) في استحضار قضية الأسرى لدى (قسد) ومخيمي الهول وروج. إذ يشير التنظيم إلى "الثأر للأخوات الأسيرات"، ويعتبر تحريرهن واجبًا على كل مقاتليه، ما يجعله ربما يخطط لهجمات ضد مخيمات أو سجون، بهدف إطلاق سراح عناصره وتحقيق مكاسب إعلامية ومعنوية. وتبعًا لهذا الخطاب، يمكن تصور ثلاثة سيناريوهات محتملة لاستهداف السجون أو مراكز الاحتجاز:

(19) معظم الأعداد الصادرة بعد سقوط نظام الأسد تتضمّن فقرات صغيرة توضح العمليات التي تقوم بها داعش ضد (قسد) في شمال شرق سورية، ويتم عرضها كأخبار معارك من دون سياق تحليلي.

(20) داعش في سوريا الجديدة.. المعركة لم تنتهِ بعد، فراتس، 28 آذار/ مارس 2025، الرابط: https:// / at.shorturl/etOWf

(21) ماذا وراء المواجهات بين العشائر العربية وقسد شرق سورية؟، الجزيرة، 22 آب/ أغسطس 2024، الرابط: https:// / at.shorturl/lUa3V

(22) تفاصيل هجوم "داعش" على سجن الصناعة في مدينة الحسكة السورية، معهد دراسات الشرق الأوسط، 14 شباط/ فبراير 2022، الرابط: https:// / at.shorturl/Kwk57

- **أولًا: سيناريو الهجوم المباشر واسع النطاق**: وهو الأكثر قربًا لعملية غويران، ويتمثل في اقتحام منسّق لمجمع احتجاز كبير عبر قوة صدام أمامية ترافق مع خلايا داخلية تتولى إحداث فوضى وتمرّد داخل السجن. نجاح هذا السيناريو يتطلب قدرة لوجستية عالية، لكنه يمنح التنظيم مكاسب ضخمة، تتمثل في تحرير عدد كبير من المعتقلين وتعزيز صورته الدعائية.

- **ثانيًا: سيناريو الهجمات المركّزة على نقاط الحراسة والمنشآت الطرفية**: قد يتجه التنظيم إلى استهداف محيط السجون ونقاط الحماية، بالعبوات الناسفة والأسلحة الخفيفة، بهدف إنهاك (قسد) وتشتيت قواتها وإيجاد ثغرات يمكن توظيفها لاحقًا. هذا السيناريو أقل كلفة من الأول، ويحقق أثرًا تراكميًا يعزّز خطاب التنظيم حول هشاشة قبضة (قسد) الأمنية.

- **ثالثًا: سيناريو الهجمات على المخيمات ذات البنية الأمنية الضعيفة**: تواصل (النبأ) التذكير بـ «وجوب تحرير الأخوات الأسيرات». وفي هذا السياق يبرز مخيما الهول وروج كمواقع شديدة الحساسية؛ حيث يضمان آلاف النساء والأطفال المرتبطين بالتنظيم. وقد يكون استهداف هذه المخيمات في شكل تهريب منظم، أو اقتحام محدود، أو افتعال فوضى داخلية تستغلها خلايا التنظيم للفرار. هذه العمليات تمنح داعش مكاسب معنوية كبيرة، وإن لم تحقق تحريرًا واسعًا للمعتقلين.

ويتقاطع السيناريو الثالث مع هدف دعائي أكبر يسعى إليه التنظيم، وهو إثبات أنه ما زال قادرًا على تنفيذ عمليات معقدة، وعلى ضرب خصومه في نقاط يفترض أنها محصنة. لذلك فإن أي توتر أمني، أو خلاف داخل (قسد)، أو انشغالها بجبهات أخرى، قد يشكل عاملًا مرجحًا لمحاولة التنظيم تنفيذ أحد هذه السيناريوهات.

ومن جانب آخر، يراقب التنظيم عن كثب العلاقة بين (قسد) والحكومة السورية الانتقالية وحلفاء كلٍّ منهما. فإذا حدث أي تنسيق أو تقارب بين هذه الأطراف، فقد يعدّه داعش دافعًا إضافيًا لاستهدافهم جميعًا، محاولًا توسيع عملياته شرقًا نحو غرب الفرات، لضرب مناطق التماس وإفشال أي ترتيبات أمنية من خلال تأجيج الفوضى مجددًا.

احتمالية تصعيد الاستهداف في مناطق خاضعة حاليًا للحكومة السورية الانتقالية

على الرغم من أن النشاط العلني لتنظيم داعش منذ سقوط النظام تركز نسبيًا في الشرق السوري، فإن هناك مؤشرات تدل على تطلعه إلى توسيع رقعة عملياته مجددًا باتجاه المناطق التي أصبحت تحت سيطرة الحكومة السورية الانتقالية في الجنوب والشمال الغربي. ويبدو أن التنظيم يرى في المرحلة الانتقالية وما رافقها من ترتيبات أمنية فرصةً لاختبار مدى تماسك الوضع الأمني في مناطق كانت سابقًا خاضعة للنظام.

في تطور لافت، شهد ريف محافظة السويداء خلال شهر أيار/ مايو 2025 عمليتين نوعيتين تبنّاهما التنظيم، وهما الأوليان من نوعهما في تلك المنطقة منذ سقوط الأسد. فقد أعلن داعش في صحيفة (النبأ) في العدد 498، الصادرة في 5 حزيران/ يونيو 2025، مسؤوليته عن تفجير عبوة ناسفة استهدفت آلية عسكرية لقوات الحكومة السورية الانتقالية قرب منطقة تلول الصفا في البادية السورية، ما أسفر عن مقتل عنصرين وإصابة خمسة آخرين. وبعد أيام، تبنّى التنظيم تفجيرًا آخر استهدف آلية لفصيل "جيش

سورية الحرة" المنضوي ضمن تشكيلات الحكومة السورية الانتقالية في المنطقة نفسها، وأدى التفجير إلى مقتل عنصر وإصابة ثلاثة آخرين. وتعكس هذه العمليات رغبة داعش في توسيع نشاطه نحو الجنوب السوري، مستغلًا الطبيعة الصحراوية الوعرة الممتدة بين ريف دمشق والسويداء، وهي مناطق طالما استخدمها التنظيم نظرًا لاتساعها وصعوبة ضبطها أمنيًا بالكامل[23].

توقيت هذه الهجمات يحمل أيضًا رسائل واضحة. فمن جهة، يؤكد داعش أنه ما زال قادرًا على ضرب "قوات الحكم الجديد في سورية والفصائل المتحالفة معه" على حدّ وصفه، حتى في عمق المناطق التي يُفترض أنها أصبحت آمنة بعد سقوط النظام السابق. ومن جهة أخرى، يسعى إلى إحراج الحكومة السورية الانتقالية، وإظهار عجزها عن بسط الأمن في مناطق سيطرتها. وإذا استمرت وتيرة هذه العمليات وتصاعدت، فقد تتحول البادية السورية مجددًا إلى بؤرة توتر تشغل الجيش السوري الانتقالي في عمليات تمشيط مستمرة، وتوفر لخلايا التنظيم مساحة أكبر للتحرك.

أما في الشمال الغربي، فعلى الرغم من القبضة الأمنية الصارمة هناك، لا يُستبعد أن يحاول داعش اختراق المنطقة عبر عمليات سريعة وخاطفة. فقد شهدت مدينة حلب أواخر نيسان/ أبريل 2025 حادثة اشتباك بين قوى الأمن وخليّة تابعة للتنظيم في حي الحيدرية، أسفرت عن مقتل عنصر أمن واعتقال أربعة من أفراد الخلية. ويبيّن هذا الحادث أن لبعض خلايا داعش قدرةً على التخفي والتسلل حتى داخل المدن الكبيرة الواقعة خارج مناطق نفوذه التقليدي. ومع انشغال القوات الأمنية التابعة للمعارضة بترتيبات الانتقال السياسي، قد يجد التنظيم ثغرات ينفذ منها لتنفيذ هجمات في مدن رئيسية مثل السويداء أو حلب أو حتى دمشق.

ومن النقاط الحساسة التي قد يفكّر التنظيم في استهدافها تلك التي تحمل رمزية طائفية أو سياسية كبيرة، بهدف تأجيج التوتر وخلق صدى إعلامي واسع. فقد يلجأ مثلًا إلى استهداف أماكن دينية للأقليات كالمزارات أو الكنائس، ليؤكد حضوره في عموم الجغرافيا السورية ويحرج الحكومة السورية الانتقالية أمام المجتمع الدولي. ويؤكد ذلك ما أعلنته وزارة الداخلية السورية في كانون الثاني/ يناير 2025، بشأن إحباط محاولة تفجير في مقام السيدة زينب جنوب دمشق[24]، حيث صرّحت بأن منفذ المخطط ينتمي إلى تنظيم داعش، رغم عدم صدور أي بيان رسمي من التنظيم يتبنى العملية.

وفي هذا السياق، تبرز حادثة تفجير كنيسة مار إلياس للروم الأرثوذكس في حي الدويلعة بدمشق، التي وقعت في 22 حزيران/ يونيو 2025 مثالًا آخر على هذا التوجه. إذ شهدت الكنيسة تفجيرًا انتحاريًا أثناء قدّاس ديني، أسفر عن سقوط عشرات الضحايا بين قتلى وجرحى. وقد نسبت وزارة الداخلية السورية العملية إلى داعش[25]، من دون أن يصدر عن التنظيم أي إعلان رسمي بتبنيها. مثل هذه العمليات تؤكد أن السلطات ترى في داعش تهديدًا قائمًا وقادرًا على الوصول إلى أهداف ذات طابع رمزي وطائفي حتى في قلب العاصمة، مما يهدد بجر البلاد إلى موجة جديدة من العنف الطائفي، ويقوض أي استقرار سياسي تحاول الحكومة الانتقالية ترسيخه.

---

(23)تنظيم "داعش" يتبنى هجومًا في السويداء وسط تصاعد نشاطه في سورية، The Cradle عربي، 30 أيار/ مايو 2025، الرابط: https://at.shorturl/sgS9h

(24) تفاصيل جديدة عن إحباط محاولة تفجير، الجزيرة، 11 كانون الثاني/ يناير 2025، الرابط: https://at.shorturl/osyOO

(25) دمشق تعلن القبض على "خلية" تفجير كنيسة مار إلياس، الأناضول، 24 حزيران/ يونيو 2025، الرابط: https://at.shorturl/XZK4C

تصعيد الحملة الإعلامية المصاحبة للعمليات البرية

يدرك تنظيم داعش تمامًا أهمية المعركة الإعلامية إلى جانب المعركة الميدانية. ومن المتوقع أن يعمد إلى تصعيد حملته الدعائية بالتزامن مع أي تصعيد عسكري ينفذه. فقد أظهرت تجاربه السابقة أنه يولي للدعاية أهمية لا تقلّ عن الحدث الميداني ذاته، سعيًا لتحقيق أكبر تأثير نفسي وسياسي ممكن.

في الفترة المقبلة، سيستمر إصدار صحيفة (النبأ) وغيرها من المنصات الإعلامية التابعة له، مع الإبقاء على نبرة انتصارية، حتى لو كانت الإنجازات الميدانية محدودة؛ حيث تُضخّم أيّ عملية صغيرة لتبدو وكأنها جزء من خطة استراتيجية كبرى لإضعاف "الصليبيين والمرتدّين". وغالبًا ما تُختتم بيانات العمليات بعبارات تهديد ووعيد. ومن المرجّح أن يركّز إعلام داعش بصورة أكبر على خطاب الثأر والانتقام، بوصفه أحد أهم الأجهزة التعبوية في أدبيات العنف. فهذا الخطاب يقوم على تحويل الألم الجماعي والخسارات العسكرية إلى طاقة معنوية متجددة، عبر إقناع العناصر بأن الانتقام ليس مجرد رد فعل نفسي، بل واجب شرعي يُعيد التوازن الأخلاقي المختل. وفي التجارب الجهادية عمومًا، يعمل خطاب الثأر على ترسيخ شعور بأن التنظيم يحمل تفويضًا للقصاص نيابة عن الجماعة، وأن كل عملية هجومية تمثل استعادة لكرامة منتهكة، وليست فعلًا عدائيًا مجردًا. وسيظل موضوع الأسرى في المخيمات حاضرًا بقوة في دعاية التنظيم، خصوصًا عند الحديث عن "الأخوات الأسيرات" في الهول وروج، لما يحمله هذا الملف من قدرة على استثارة العواطف وتحريك المقاتلين. وسيستمر استحضار ما يسمّيه التنظيم "المجازر" التي يتهم بها التحالف الدولي أو الفصائل الأخرى بحقّ أهل السنة، في محاولة لتوسيع دائرة المظلومية وإضفاء طابع شخصي على الصراع، بحيث يشعر الفرد بأن المعركة ليست صراعًا سياسيًا، بل قصاصًا يتعيّن عليه أن ينفّذه دفاعًا عن جماعته. وبهذا يتحول خطاب الثأر إلى محرّك رئيسي يعزز استعداد العناصر للقيام بعمليات جديدة، ويمنح التنظيم قدرةً على تعويض خسائره عبر تعبئة مستمرة تقوم على استدعاء الذاكرة الدموية وتضخيم صور الظلم[26].

وسيُولي التنظيم اهتمامًا خاصًا لترويج فكرة فشل خصومه في إدارة المناطق المحررة. ففي ظل التحديات التي تواجه الحكومة السورية الانتقالية على صعيد الأمن والخدمات، يسارع إعلام داعش، ولا سيما (النبأ)، إلى تسليط الضوء على هذه الإخفاقات، وتصويرها كدليل على أن أي مشروع آخر غير مشروع الخلافة عاجز عن حكم الناس بالعدل والأمان. وقد ظهرت ملامح هذا الأسلوب بالفعل في تغطية (النبأ) لعمليات السويداء الأخيرة، إذ عقّبت الصحيفة على التفجيرين بأنهما استهدفا "دوريات النظام السوري الجديد وميليشياته الرديفة أثناء حملات تمشيط في أطراف البادية بحثًا عن المجاهدين، وهي نفس المهام التي كانت موكلة للنظام السابق". والهدف من هذا الخطاب هو الإيحاء بأن سقوط الأسد لم يغيّر شيئًا، وأن النظام الجديد يواصل نهج القديم في مطاردة المجاهدين، ما يعني في نظر التنظيم أن كليهما عدو يجب قتاله.

من جهة أخرى، يُتوقّع أن يزيد داعش اعتماده على المواد المرئية والدعائية في الفترة المقبلة لاستقطاب عناصر جدد وإثارة الانتباه الإعلامي. قد نشهد تسجيلات مصوّرة عالية الجودة توثّق لحظات الاقتحام أو الاشتباك، مصحوبة بتعليق صوتي تحريضي. وربما يسعى التنظيم لإنتاج إصدار دعائي ضخم يستعرض فيه ما يعتبره "غزوات ناجحة"، بعد سقوط الأسد، لإيصال رسالة لأنصاره مفادها "لقد عدنا من جديد". مثل هذه الإصدارات تترك أثرًا كبيرًا في الدعاية الجهادية وقد تسهم في استقطاب متعاطفين حتى من خارج سورية.

(26) Islamic State propaganda and the mainstream media, Lowy Institute, Published 26 February 2016, https:// shorturl.at/ mauPs

من جانب آخر، أثبت تنظيم داعش قدرته على استغلال وسائل التواصل الاجتماعي بشكل مستمر، رغم الرقابة المشددة. فمع كل حملة لإغلاق حساباته ومنصاته، يُبادر سريعًا بإنشاء بدائل على تطبيقات مشفّرة أو عبر قنوات بديلة، مما يؤكد مرونة بنيته الإعلامية وقدرته على التكيّف مع التضييق الرقمي. وقد رافقت هذه الأنشطة الإعلامية الميدانية عددًا من الهجمات النوعية، إذ عادةً ما يتزامن نشر بيانات العمليات أو مشاهد مصوّرة مع تنفيذ الهجوم نفسه، في محاولة لتعزيز أثره الدعائي وضرب معنويات الخصوم.

في المقابل، تشير أنماط التحرك السابقة إلى أن التنظيم سيواصل توسيع نشاطه الإعلامي السري، كلما وقعت أحداث كبرى ميدانية أو سياسية، بهدف إيصال رسالته لأكبر شريحة ممكنة. ومن المرجح أن يُكثف حملاته الإلكترونية في تلك اللحظات لغايتين: أولًا تجنيد أنصار جدد من البيئات الهشّة، وثانيًا شن حرب نفسية على أعدائه من خلال بث الخوف والتهويل الدعائي. يعكس هذا النمط تحوّلًا متدرجًا نحو الاعتماد على الإعلام كسلاح موازٍ للسلاح التقليدي، خاصة بعد تراجع حضوره العسكري في الميدان.

سادسًا: استنتاجات

تُظهر نتائج تحليل الخطاب الإعلامي لتنظيم داعش، في صحيفة (النبأ)، خلال الفترة الممتدة بين كانون الأول/ ديسمبر 2024 وتشرين الأول/ أكتوبر 2025، أن التنظيم لا يزال يحتفظ بفاعلية أيديولوجية وإعلامية، على الرغم من خسائره الميدانية الكبرى. ويمكن تلخيص أهم الاستنتاجات في ما يلي:

- **استمرارية العداء العقائدي وتحول بوصلته:** لم يغيّر تنظيم داعش من عدائه العقائدي المطلق، بل أعاد توجيهه من النظام السوري السابق إلى الحكومة السورية الانتقالية، بوصفها "نظامًا مرتدًا جديدًا". هذا التبديل في تحديد الخصم لا يعكس تغييرًا في العقيدة بقدر ما يعكس تكيفًا مع المتغيرات الميدانية.
- **التحريض المتزايد ضد الفصائل الإسلامية:** اتضح من تحليل الخطاب استمرار التنظيم في شيطنة الفصائل الإسلامية الأخرى، وعلى رأسها هيئة تحرير الشام، واعتبارها أداة بيد "الصليبيين والمرتدين"، ما يدل على أن أولويته الميدانية لا تزال موجهة إلى استئصال كل ما يراه «جهادًا منحرفًا».
- **بنية دعائية مزدوجة:** العنف كعبادة والنصر كحتمية: يبرر التنظيم عنفه المفرط بوصفه «عدالة إلهية» واجبة التنفيذ. ويُضخّم أي عملية بسيطة عبر سردية نصر ديني قادم، ليبقي عناصره في حالة استنفار عقائدي دائم، وهو ما يعكس نجاحًا في بناء عقيدة صلبة تغذّي نفسها ذاتيًا.
- **تكريس خطاب الإقصاء المطلق:** الخطاب الذي وثقه البحث في أعداد (النبأ) يؤكد استحالة القبول بأي مشروع سياسي غير قائم على الخلافة، ويرفض مبدأ التعايش أو التسوية. هذه المقاربة تجعل من الفكر الداعشي حاجزًا صلبًا أمام جهود المصالحة أو إعادة الإدماج.
- **إعادة هندسة صورة العدو من الخارج إلى الداخل:** بعد أن كان الخطاب يركّز على "الحرب الصليبية" والعدو الدولي، بات العدو الآن هو "الداخل المرتد"، أي الحكومة السورية الجديدة، ما يعكس تحوّلًا استراتيجيًا نحو الداخل، يجعل المرحلة المقبلة أكثر انغلاقًا وأشدّ استهدافًا للمجتمع المحلي.
- **تكامل الخطاب الإعلامي مع الأهداف العسكرية:** تستند الاستراتيجية الإعلامية للتنظيم إلى خطاب تعبوي، يترافق غالبًا مع عمليات ميدانية، ما يشير إلى تنسيق محكم بين الذراع الدعائي والجناح العسكري، ويعزّز من تأثير الحرب النفسية.
- **تصعيد في استهداف الرموز الدينية والطائفية:** على الرغم من الادعاء بإلغاء مفهوم الأقليات، يُظهر التنظيم رغبة في استغلال التوترات الطائفية عبر استهداف رموز دينية ومناطق حساسة طائفيًا، بما يؤكد أن الفتنة المذهبية لا تزال أداة استراتيجية ضمن ترسانة داعش.
- **تحول إعلامي نحو التمكين البصري والمحتوى المشفر:** يتّضح من نمط نشر (النبأ) وبقية المنصات الداعشية أن التنظيم بات يعتمد على قنوات مغلقة ومنصات مشفرة مع التركيز على الرسائل المرئية المختصرة والمكثّفة، ما يعكس تطورًا في أدواته الإعلامية وتكيّفه مع الضغوط الإلكترونية.

- **خطورة الخطاب كعامل مهدد للاستقرار السياسي:** يُعدّ خطاب داعش في أعداده الأخيرة تهديدًا فعليًا لمسار التحول السياسي، لا لأنه قادر على إسقاطه عسكريًا، بل لأنه ينجح في تشويهه أيديولوجيًا، وضرب شرعية رموزه، وتقويض ثقة المجتمع المحلي بها.
- **استمرار مخاطبة الفئات المهمّشة والساخطة:** يعتمد التنظيم على خطاب موجّه للفئات التي تشعر بالتهميش أو الإقصاء، ويمنحها هوية مقاتلة ووعدًا بالثأر والتمكين، ما يجعله حاضرًا كخيار بديل في أذهان هذه الفئات، إذا فشلت السلطات الجديدة في الاستجابة لحاجاتها.

خاتمة وتوصيات

في ضوء التحليل المتكامل لخطاب تنظيم داعش في صحيفة (النبأ) بين الأعداد 517-472، وتحديدًا ما يتعلّق بموقفه من الحكومة السورية الانتقالية، يُوصى بأن تعتمد الحكومة الانتقالية استراتيجية متعددة المستويات، لمواجهة هذا الخطر الأيديولوجي والأمني. وعلى الحكومة السورية الانتقالية تبنّي استراتيجية شاملة لمواجهة خطر تنظيم داعش وخطابه المتحوّل. وينبغي أن تجمع هذه الاستراتيجية بين الحزم الأمني والتنمية الاقتصادية والمعالجة الفكرية العميقة، بما يضمن حرمان التنظيم من البيئة الخصبة التي يستغلّها لنشر التطرّف واستقطاب الأتباع. فمن جهة، يتعيّن مواصلة تشديد الإجراءات الأمنية والاستخبارية لتفكيك خلايا التنظيم وإحباط هجماته قبل وقوعها، ومن جهة أخرى لا بدّ من تحسين الأوضاع المعيشية والخدمات في المناطق المحررة والمهمّشة، لتجفيف منابع التطرّف ومعالجة المظالم الاجتماعية التي يتغذّى عليها التنظيم. وبالتوازي مع ذلك، ينبغي تصعيد المواجهة الفكرية والدينية ضدّ خطاب داعش التكفيري، عبر دعم خطاب إسلامي وسطي معتدل، وإطلاق برامج تعليمية وتوعوية لتحصين الشباب من أفكار التطرّف.

ومن جانب آخر، يتعيّن على الحكومة تعزيز شرعيتها وكسب ثقة المواطنين، من خلال بناء نموذج حُكم فعّال ومستقرّ، يُرسّخ سيادة القانون، ويضمن المشاركة الشاملة لجميع المكوّنات، ويحول دون تمكُّن داعش من استغلال التوترات الطائفية أو تصوير المرحلة الجديدة كامتداد للنظام السابق. وإنَّ تكاتف هذه الجهود الأمنية والتنموية والفكرية، إلى جانب تبنّي استراتيجية إعلامية مضادّة تُغلِق الفضاء الدعائي الذي يستثمره التنظيم، كفيلٌ بإضعاف خطاب داعش المتحوّل، وتقليص خطره على الأمن المحلّي ومسار التحوّل السياسي في سورية.

ختامًا، توجب مخرجات البحث على الحكومة السورية الانتقالية أن تسارع إلى اتخاذ الإجراءات التي من شأنها ترسيخ نموذج حكم رشيد ومتماسك، يقدّم الأمن والخدمات والعدالة، ويقطع الطريق أمام سردية داعش القائمة على أن «لا شيء تغيّر»، حيث إنّ بناء مؤسسات وطنية فعالة وشفافة هو السبيل الأنجح لتجفيف منابع التطرّف، واستعادة ثقة السوريين بدولتهم الجديدة، وتحصين المجتمع ضد خطاب الكراهية والعنف التكفيري.

المركز العربي لدراسات سورية المعاصرة
The Arab Center for Contemporary Studies